

الرسائل النادرة

٥-
أدب الوزير للماوردي
المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك

لقاضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي
المتوفى سنة ٥٤٥ هـ صاحب كتاب أدب الدنيا والدين والاحكام السلطانية وغيرها

بنفقة

مكتبة الخزانة
لاستاذ باحثة أولاد محمد داهن الخزانة
بشارع عبدالعزیز بمصر

صندوق البوستة رقم ١٩٢٥

الطبعة الاولى

١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

دار المعرف للطبع والنشر : بشارع الخليج المصري بالقاهرة مصر

2264
.108
.312

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

10 024 486

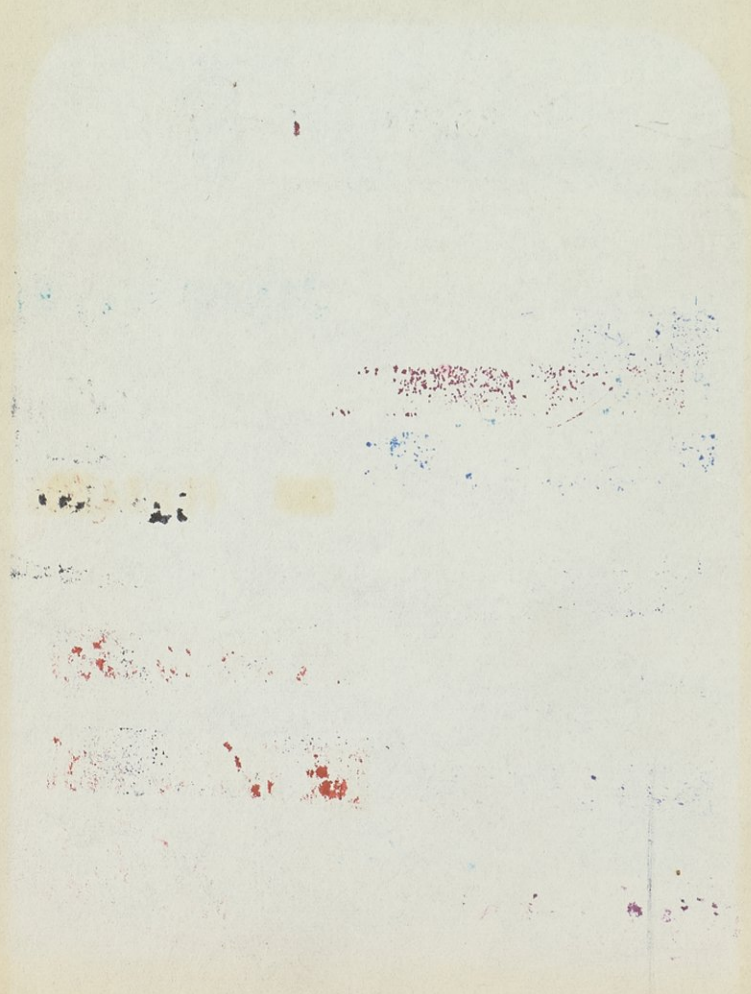
DUE JUN 15 1986

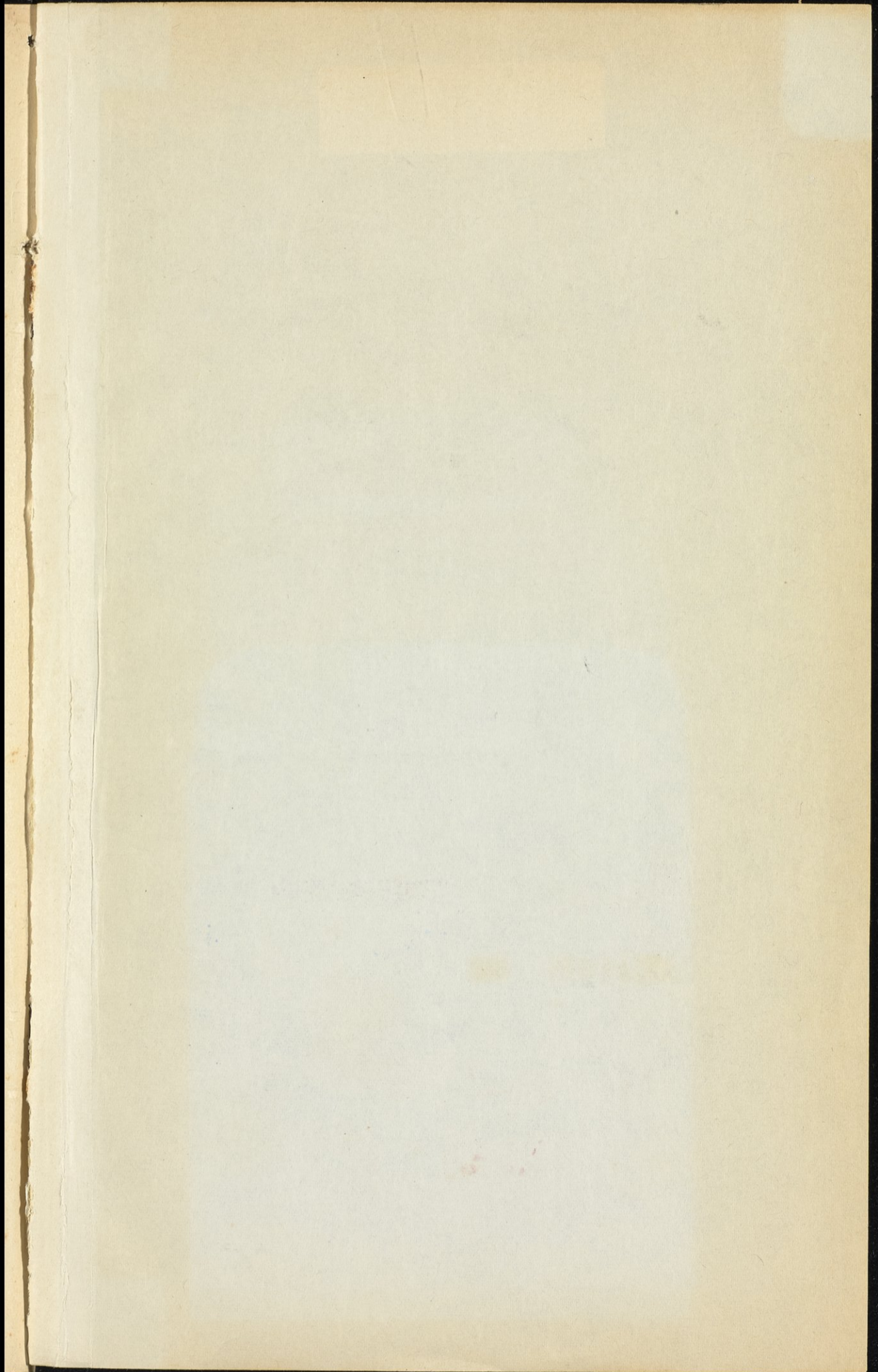
DATE ISSUED	DATE DUE	DATE ISSUED	DATE DUE
MAY 1 1967		JAN 8 1984	FEB 27 1984
MAY 1 1967		RETURN	MAR 20 1984
MAY 1 1967	MAY 6 1966	MAY 1 1967	FEB 24 1986
MAY 1 1967	JUN 20 1967		
MAY 1 1967		DUE JUN 15 1990	
AUG 2 - JUN 18 1977		DUE JUN 15 1991	
MAY 27 1978	JUN 16 1978		
		MAY 22 2012	

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY



32101 013092182





Ali ibn Muhammad, al-Mawardi

الرسائل النادرة

Adab

أدب الوزير للماوردي
المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك

٥-

لقاضي القضاة أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي
المتوفى سنة ٤٥٠ هـ صاحب كتاب أدب الدنيا والدين والاحكام السلطانية وغيرها

بنفقة

بنفقة

مكتبة النجاشي

لاصحابها اولاد محمد بن ابي الحسن النجاشي
بشارع عبدالعزيز بمصر

صندوق البوستة رقم ١٩٢٥

الطبعة الاولى

١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

دار العصور للطبع والنشر : بشارع الخليج المصري بالظاهر بمصر

حقوق الطبع
محفوظة للكتبة



فهرس مطالب الكتاب وفصوله

١	كلمة الناشر
ج	ترجمة مؤلف الكتاب
٢	مقدمة الكتاب والكلام على خسر الوزارة ووظيفة الوزير
٣	مطلب في وجوب تمسك الوزير بالدين والعدل وأنهما أساس الملك
٤	الكلام على العدل والاحسان وأنهما مادة الوزير وضدهما الجور والاساءة
٤	مطلب في تفسير العدل في الأقوال وأثره والروية في معاني الكلام
٥	الكلام على العدل في الأفعال وتفسيره وأثره في حالتى الرضا والغضب
٦	» على الوعد والوعيد وقانون الوزير فيهما
٦	» على الغضب وذمه ووجوب تباعد الوزير عنه
٧	مطلب ومن نتائج الغضب اللجاج ومساواته له في المعرة والمضرة
٧	» في الكلام على الجد والهزل وأنهما ضدان متنافران
٨	» ومن نتائج الجد الهيبة وأنها أس السلطنة
٨	» في الاسترواح ببعض الهزل للاستعانة على مصابرة الجد
٩	الكلام على الصدق والكذب وأن الأول من لوازم العقل والثانى من غرائز الجهل
٩	فصل في الوزارة واشتقاق اسمها من معناها
١٠	الكلام على تقسيم الوزارة إلى وزارتى تفويض وتنفيذ وأنها الخ
١٠	الكلام على التنفيذ وأنه أربعة أقسام الأول منها ما صدرت به أوامر الملك
١٠	الثانى من أقسام التنفيذ ما اقتضاه رأى الوزير
١١	الثالث » » ما صدر عن خلفاء الوزير على الأعمال
١٢	الرابع » » تنفيذ أمور الرعايا على ما ألفوه من العادات

والمعاملات

2264

• 108

. 312

1-31-28 - Decentral

- ١٣ الكلام على الدفاع وأنه مهمة الوزير ويشتمل على أربعة أقسام
- ١٣ القسم الأول منه دفاعه عن الملك من أوليائه
- ١٣ » الثاني » » المملكة من أعدائها
- ١٥ » الثالث » » نفسه من أ كفائه
- ١٧ » الرابع » » الرعية من خوف واختلال
- ١٨ فصل في الكلام على الاقدام وهو من مزايا الوزير وصفاته وينقسم
الى قسمين
- ١٩ القسم الأول من الاقدام على جلب المنافع
- ٢٠ » الثاني » » على دفع المضار
- ٢١ فصل في الحذر وتفسيره والكلام عليه من أربعة وجوه
- ٢٢ الوجه الأول منه الحذر من الله تعالى وأنه عماد الدين
- ٢٢ » الثاني » الحذر من السلطان والكلام عليه من ثلاثة أقسام
- ٢٣ القسم الأول » حذر ك بأن لا تعول على الثقة في ادلال واسترسال
- ٢٣ » الثاني » حذر ك في أن تساعده على مطالبه ومحابه
- ٢٤ » الثالث » حذر ك في أن تدب عن نفسه وملكه ما استطعت
- ٢٥ مطلب في الكلام على حقوق الوزير على السلطان وحقوق السلطان عليه
- ٢٧ الوجه الثالث من وجوه الحذر الحذر من الزمان وتقلبه
- ٢٩ » الرابع » » الحذر من أهل الزمان وتقسيم
أطوار الانسان
- ٣١ فصل في التقليد والعزل وهما من وظائف وزير التفويض والكلام
على التقليد وأنه ضربان
- ٣٢ الضرب الأول منهما وهو تقليد التقرير ويشتمل على ثلاثة أقسام
- ٣٣ الضرب الثاني منهما » » التدبير ويشتمل على تدبير الأموال
وتدبير الأجناد

- ٣٥ فصل في الكلام على العزل وهو ضربان ما كان من غير سبب
وما كان لسبب
- ٣٧ الكلام على وزارة التنفيذ وهي الثانية وتختص بأربعة قوانين
- ٣٧ الأول من قوانينها السفارة بين الملك وأهل مملكته
- ٣٨ الثاني من قوانينها الرأي والمشورة
- ٤١ الثالث من قوانينها عناية الوزير بالملك
- ٤٢ الرابع من قوانينها حرص الوزير على مصالح الملك
- ٤٣ الكلام على ما بين الوزارتين من الاختلاف في أصل التقليد
- ٤٤ فصل فيما تشترك به الوزارتان من الحقوق والعهود والكلام على
الحقوق وأنها ثمانية
- ٤٦ الكلام على العهود وقد أتى بها المؤلف على سبيل الوصية فصولاً
مسترسلة مقفاة وأنا أذكرها على ترتيبها بمعناها
- ٤٦ وصيته للوزير بالمراقبة لله تعالى في السر ومراقبة سلطانه في خلوته
- ٤٧ « » أن يكون خبيراً بالرعية متطلعاً على أحوالهم
- ٤٧ تحذيره للوزير من الكذب
- ٤٨ وصيته له باختبار أحوال من استكفاه ليعلم عجزه من كفايته
- ٤٨ « » باقتصاره على الأعوان بحسب الحاجة إليهم
- ٤٨ « » بتهديب نفسه وتنزيهاها عن الطمع
- ٤٩ « » على مشاركة الأعمال بنفسه
- ٤٩ « » في وقت الفراغ براحة الجسم واجمام الخاطر
- ٥٠ « » بخفض جناحه لمن فوقه وتوطئة كنفه لمن هو أدنى منه
- ٥٠ « » بالشكر على النعمة والصبر في الشدة واستدامة مودة مواليه
بالاحسان اليه وعدوه بالاحتراز منه وأن لا يعول على التهم والظنون

- ٥١ وصيته له باختبار حال من اشتبه أمره عليه والأخذ بالتودد الى الناس
- ٥١ » » بالمشورة ومن يستشير وما يجب في ذلك
- ٥٢ » » بكتمان أسرارهم وأن يختار لها من يثق بدينه إن كان لا بد
من الاذاعة
- ٥٣ أمره له بالثبوت فيما لا يقدر على استدراكه وحثه على المعروف
ما استطاع اليه
- ٥٣ تحذيره من مدح المتملقين ومداجاة المناققين
- ٥٤ وصيته له باحماد السلطان وشكر الرعية والقيام بالاحسان اليهم
- ٥٥ » » بالصبر على طلب أر باب الحوائج وأن يسعهم بحاله وحثه
على اصطناع المعروف
- ٥٦ وصيته له بأن يكون قدوة لصلاح الأئمة بصلاح نفسه ويحذره عواقب
الظلم ودعوة المظلوم وابتعاده عن الشهوات وأن لا يكون عبداً لها
- ٥٧ وصيته له بالحدز من الزمان والاحترار من الاغترار به وأن يكون
صلاح عمله ذخره وجميل سيرته أثره
- ٥٨ وصيته له بأن يكون جميل فعله غنمه في باقى أيامه وقد ختم تلك الوصية
بالحديث المروي في أشرط الساعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم المرسلين ، وبعد فها نحن قد اخترنا لك أيها القارئ العزيز هذه الرسالة النفيسة الموسومة بقوانين الوزارة لتكون الحلقة الخامسة من سلسلة الرسائل النادرة التي تنشرها (مكتبة الخانجي) . وما اخترناها إلا لشهرتها وذيوع اسمها في كتب التراجم وموضوعات العلوم . وحسبك أنها من تصنيف امام كبير من أئمة الأدب والبيان ومحقق جليل من شيوخ الحكمة والتشريع ، وأعني به : أبا الحسن علي بن محمد بن حبيب البصرى الماوردى ، مؤلف (أدب الدنيا والدين) و (الأحكام السلطانية) و (الحاوى) و (الاقتناع) وغير ذلك من أمهات الكتب في الفقه والتفسير والأدب والسياسة . وقد أسميناهما (أدب الوزير) لأنها في الواقع فصول رائعة في آداب الوزارة ورسومها وأحكامها وما للوزير وما عليه نحو سلطانه وبلاده ونفسه . وسوف نجدها متمشية في أسلوبها الرائع ومباحثها الجلية وفق الخطة التي سار عليها في كتابه الشبير : (الأحكام السلطانية) . فالرسالة إذن تنمة مباحث ذلك الامام الجليل في فن السياسة وتديير الملك . وكلا الكتابين مرآة صادقة لتفكير العالم الاسلامي في هذا الفن الجليل الذي أصبح موضع عناية المفكرين من كتاب هذا العصر .

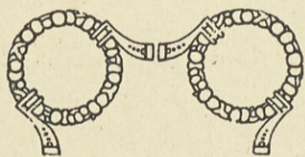
وقد كان لكتابه الأول (الأحكام السلطانية) حظ وافر من عناية

(ب)

الناشرين فطبع مراراً في القاهرة وسواها . أما هذه الرسالة فبقيت محرومة
من هذه العناية ولم تطبع قبل هذه الطبعة — فيما نعلم — مع شدة ارتباطها
بالكتاب الأول . واننا لنغتنب اليوم إذ نتقدم بها لمحبي الكتب والرسائل من
آثار السلف الصالح ويسرنا أن نضيفها إلى مجهود من سبقونا في نشر
(الاحكام السلطانية) . وقد كان اعتمادنا على نسخة مخطوطة في دار الكتب
الملكية ضمن مجموعة من كتب العلامة الشنقيطي والله المسئول أن يمدنا
بالتوفيق وحسن المعونة فيما قصدنا .

عبد العزيز أمين الخانجي

٥ صفر سنة ١٣٤٨



هو أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري المعروف بالماوردي ولقبه أفضى القضاة . ولد بالبصرة وتوفى في بغداد ودفن فيها في مقبرة باب حرب ، والكتب التي اعتمدنا فيها على هذه الترجمة وهي : (وفيات الأعيان) و (الوافي بالوفيات) و (معجم الأديباء) و (تاريخ أبي الفداء) و (طبقات الشافعية) اتفقت جميعها على أن وفاته كانت عام ٤٥٠ هجرية بعد أن بلغ ستا وثمانين سنة ؛ فيكون ميلاده بناء على هذا الاجماع سنة ٣٦٤ هجرية . قطع الماوردي مراحل حياته الطيبة الحافلة بجلائل الاعمال في البصرة وبغداد وأعمالها من الأمصار القريبة . وقد كانت تلك الجهات في ذلك الوقت مسرحاً للفتن والفسائس من الداخل والخارج ، ومقام الخلافة في بغداد من الضعف والوهن وخور العزيمة ، بحيث أصبح الخلفاء آلات مسخرة وأدوات لا قيمة لها بين الترك والديلم . وإليك ما يقوله أبو الفداء في حوادث سنة احدى وثمانين وثلاثمائة :

« وفي هذه السنة قبض بهاء الدولة بن عضد الدولة على الطائع لله عبد الكريم وكنيته أبو بكر بن المفضل المطيع لله بن جعفر المقتدر بن المعتضد ابن الموفق بن المتوكل ، بسبب طمع بهاء الدولة في مال الطائع . ولما أراد بهاء الدولة ذلك أرسل إلى الطائع وسأله الاذن ليحدد العهد به فجلس الطائع على كرسي ودخل بعض الديلم كأنه يريد تقبيل يد الخليفة فجذبه من سريره والخليفة يقول : إنا لله وإنا إليه راجعون ويستغيث فلا يغاث وحمل الطائع إلى دار بهاء الدولة وأشهد عليه بالخلع ، وكان الشريف الرضي حاضراً مهزلة القبض على الطائع وخلعه فبادر بالخروج من دار الخلافة وقال في ذلك آياتاً من جملتها :

(٥)

أسميت أرحم من أصبحت أغبطه لقد تقارب بين العز والهون
ومنظر كان بالسراء يضحكني يا قرب ما عاد بالضراء يبكينني
وانك لتقرأ من أخبار ذلك العصر الشيء الكثير عن الفتن بين الشيعة
وأهل السنة .

ففي أوائل حياة الماوردي كانت فتنة القرامطة ومذبحتهم الكبرى
في الكوفة ؛ وفي أواخر أيام صاحب هذه الرسالة كان اشتداد نفوذ
الباطنية و شيوخ دعوة الحسن بن الصباح ؛ وفي هذه الآونة كانت دولة
نبي حمدان في حلب و حر وبهم و منازعاتهم ؛ وفي هذه الفترة من التاريخ
الإسلامي كانت حكومة الفاطميين في مصر أيام خلافة العزيز بالله ثم الحاكم بأمر الله .
أما في الاندلس فكانت خلافة هشام بن الحكم بن عبد الرحمن الناصر و حروب
المنصور بن أبي عامر و انتصاراته التي شرفت الحكم الإسلامي في تلك الديار .
وقصدنا من هذا الإجمال لحوادث تلك الأيام أن ندلك على روح العصر في
الأيام التي عاشها الماوردي . و من أعجب ما يستوقف النظر أن تكون أيام
هذه الفوضى من أخصب العصور الإسلامية في الإنتاج الفكري في العلوم
و الفنون و الآداب . ولعل السبب في ذلك هو قرب ذلك العهد من النهضة
العلمية الكبرى التي وضع الرشيد و المأمون أساسها في أيام خلافتيهما الجليلة
الشأن ، تلك الأيام التي تعد بحق العصر الذهبي للإسلام .

مضى ذلك العهد الذهبي ، عهد الحركة العلمية الكبرى ، عهد التدوين
و الترجمة ؛ و هبت أعاصير السياسة و الخلافات مما لا مجال لسرده في هذه
العجالة . ولكن بقي في أيدي الناس كنوز ذلك العصر ، و مجهودات من
تقدمهم من علماء السلف الصالح . أضف إلى ذلك أن الجامعات الإسلامية الكبرى
في بغداد و القاهرة و قرطبة و نيسابور و بخارى ، كانت لا تزال محتفظة بنشاطها
و جهودها في سبيل نشر العلوم و أنوار الحكمة و الآداب العالية .

وفوق كل ما تقدم فان حكومة آل بويه في بغداد، وحكومة آل حمدان في حلب ودمشق؛ وحكومة الفاطميين في مصر، وحكومة المنصور بن أبي عامر في الاندلس؛ كانت حكومات مشهورة - رغم مشاكلها الداخلية - بتعضيد العلوم والفنون وتقريب العلماء من مجالسها والأخذ بأيديهم وتشجيعهم. فلا غرو ولا عجب أن ينبغ في هذا العصر من الفلاسفة والحكماء أمثال: ابن سينا؛ والحيام؛ والمعري. ومن النحويين واللغويين أمثال: القاضي أبو سعيد ابن عبدالله السيرافي النحوي مصنف شرح كتاب سيوييه؛ والحسين ابن زكريا اللغوي صاحب كتاب المجمل، وأبو علي الحسن بن احمد ابن عبد الغفار الفارسي صاحب الايضاح والتذكير والمقصود والمدود، وعثمان بن جني النحوي الموصلي مصنف اللمع؛ وأبو نصر اسماعيل بن احمد الجوهرى صاحب الصحاح. ومن المحدثين والأئمة أمثال الماوردي «مؤلف الكتاب»، والصيمري، والاسفرايني، والقاضي أبو الطيب الطبري، وأبو طالب محمد بن غيلان صاحب الأجزاء المعروفة بالغيلانيات؛ وأبو الحسين أحمد بن محمد القدوري البغدادي الحنفي صاحب المختصر المعروف به؛ والبيهقي، والقشيري، وابن مخلد الاندلسي، والقاضي أبو بكر بن الباقلاني، والحافظ أبي نعيم صاحب كتاب حلية الأولياء، والحاكم النيسابوري امام أهل الحديث في عصره. ومن الأدباء والكتاب أمثال: أبي اسحق ابراهيم الصابي، والخطيب بن نباتة الفارقي، والصاحب بن عباد؛ وابن العميد الكاتب الشهير، والحاتمي صاحب الرسالة الحاتمية التي بين فيها سرقات المتنبي، والشعالي صاحب التصانيف المشهورة. ومن الشعراء المجيدين أمثال: ابى الحسن الأتباري صاحب المراثية المشهورة التي مطلعها (علو في الحياة وفي المات)؛ وأبى الحسن محمد بن عبدالله السلامي ومهيار الديلمي، والشريف الرضي، وأبى القاسم بن طباطبا.

كل هؤلاء الأعلام النوابغ كانوا معاصرين للماوردي وحسبنا أن نسردهم

أسماءهم للدلالة على روح ذلك العصر من الوجهة العلمية . وقد ذكرنا لك فيما سبق أن من العوامل التي أدت الى إحياء هذه النهضة تشجيع الحكام للعلماء العاملين ، وقد كان للماوردي نصيب كبير من هذا التشجيع وكان عظيم القدر ، مقدماً عند السلاطين من آل بويه وعند الخلفاء العباسيين .

وقد ذكر أبو الفداء في حوادث سنة ٤١٩ هـ أنه عندما توفي القادر بالله وجلس في الخلافة ابنه القائم بأمر الله أرسل القائم أبا الحسن الماوردي الى الملك أبي ^{بن} كاليبجار فأخذ البيعة عليه القائم وخطب له في بلاده وذكر كذلك في حوادث ٤٤٣ هـ أي قبيل وفاة الماوردي بسبع سنين أنه وقعت الوحشة بين القائم وجلال الدولة على أمر من أمور التقاليد فأرسل القائم أبا الحسن الماوردي بواسطة ولم تنفع وساطته . والحادثان تدلان على ناحية جليلة من نواحي حياة الامام الماوردي من وجهة اتصاله عملياً بالحياة السياسية في عصره ، وتزيد في نظرنا من قيمة كتابيه الأحكام السلطانية وقوانين الوزارة . لأنهما لم يكتبتا الا عن روية ولم يصدرا إلا عن حكمة وتجربة ودراية . ويؤخذ من مقدمة الأحكام السلطانية أنه لم يشرع في كتابته إلا بعد أن عظم قدره وأصبح مقدماً عند السلطان حيث لم يصنفه إلا امتثالاً لأمره فانه يقول : « ولما كانت الأحكام السلطانية بولاية الامور أحق ؛ وكان امتزاجها بجميع الأحكام يقطعهم عن تصفحها مع تشاغلهم بالسياسة والتدبير ، أفردت لها كتاباً امتثلت فيه أمر من لزمت طاعته ليعلم مذاهب الفقهاء فيما لها منها فيستوفيه الخ .. » ولهذا الكلمات قيمتها في دحض تلك الفرية التي ذكرها الصفدي في الوافي بالوفيات وابن خلكان في وفيات الأعيان ونقلها صاحب طبقات الشافعية بتحفظ وتناخص : في أن الامام الماوردي لم يظهر شيئاً من تصانيفه في حياته وإنما جمعها كلها في مكان واحد ولما دنت وفاته قال لشخص يثق اليه : « إن كتبتي لم أظهرها لاني لم أجد نية خالصة لله تعالى لم يشبها كدر فاذا عاينت

(ز)

الموت و وقعت في النزاع فاجعل يدك في يدي فان قبضت عليها وعصرتها فاعلم انه لم يقبل مني شئ منها فاعمد الى الكتب وألقها في دجلة وان بسطت يدي ولم أقبضها فاعلم أنها قبلت وأنى قد ظفرت بما كنت ارجوه من النية الخالصة » وكان بعد ذلك أن بسط يده فظهر ذلك الانسان كتب الامام .

ولامراء عندي في أن هذا الحديث محتلق فان اماما جليل القدر مثل الماوردي وفي عصر مثل عصر الماوردي ، وقد اشتدت فيه المنافسة بين العلماء والادباء والكتاب ، تربأ به همته العالية أن يفكر في مثل هذا الأمر . وما لنا نذهب بعيداً وهاهي مقدمة كتابه الأحكام السلطانية تدل على أنه ألفه امتثالاً لأمر من لزم طاعته . وقد ذكر الصفدي قبل هذه الحكاية قصة أخرى تدل على أن تصانيف الماوردي كانت معروفة ومشهورة بل تدل على أنه كان ينافس غيره من علماء العصر في التأليف والتصنيف فان الصفدي يقول في الوافي بالوفيات : « وكان القادر قد تقدم الى أربعة من الأئمة في المذاهب الاربعة ليضع له كل واحد مختصراً في الفقه فوضع الماوردي الاقناع ووضع القدوري مختصره ووضع عبد الوهاب المالكي مختصراً ووضع أحد الحنابلة أيضاً مختصراً وعرضت عليه فخرج الخادم إلى الماوردي وقال له . قال لك أمير المؤمنين : حفظ الله عليك دينك كما حفظت علينا ديننا » .

ومن مصنفاته تفسير القرآن وسماه النكت (١) ، وكتاب الحاوي في الفقه يدخل في عشرين مجلداً (٢) ، والاقناع وقد مر ذكره ، وأدب الدنيا والدين ،

(١) موجود منه نسخة في المكتبة العمومية بميدان بايزيد بالقسطنطينية

(٢) موجود في مجموعة كتب أحمد طلعت بك نسخة كاملة بعض أجزاءها من

مخطوطات المائة السادسة وقد آلت تلك المجموعة الى دار الكتب المصرية

(ح)

والاحكام السلطانية (١)؛ وتعجيل النصر وتسهيل الظفر؛ وكتاب في النحو (٢).
وانه لموفق في جميع كتبه لسهولة عبارته وحسن تعبيره وجميل ديباجته
وما زال كتاب أدب الدنيا والدين المقرر للمطالعة في المدارس المصرية من أرواح
الكتب في عصرنا هذا. وقد أجمع الذين ترجوا حياته أنه كان اماماً ثمة في
الفقه والتفسير، ورعاً في دينه، مجاهداً لنفسه مجتهداً لا مقلداً. ذكر الصفي
في (الوافي بالوفيات) أنه كان قد سلك طريقاً في توريث ذوي الارحام
القريب والبعيد سواء جَاء اليه كبير من الشافعية فقال له اتبع ولا تتبدع. فقال:
« بل اجتهد ولا أقلد » فانصرف عنه.

ومن كلام الماوردي الدال على دينه ومجاهدته لنفسه؛ ما ذكره في
كتاب أدب الدنيا والدين، فقال: « وما أنذرك به من حالي، اني صنف
في البيوع كتاباً جمعته ما استطعت من كتب الناس، وأجهدت فيه نفسي؛
وكررت فيه خاطري حتى اذا تهذب واستكمل، وكدت أعجب به؛
وتصورت أني أشد الناس اطلاعاً بعلمه؛ حضرني وانا في مجلسي اعرابيان،
فسألاني عن بيع عقده في البادية، على شروط تضمنت أربع مسائل لم أعرف
شيء منها جواباً، فاطرقت مفكراً، وبحالي وحالهما معتبراً. فقالا: أما عندك
فيما سألتك جواب، وأنت زعيم هذه الجماعة؟ فقلت: لا، فقالا: إيها لك!..
وانصرفا. ثم أتيا من قد يتقدمه في العلم كثير من أصحابي فسألاه، فأجابهما
مسرعاً بما أقنعهما، فانصرفا عنه راضيين بجوابه، حامدين لعلمه. إلى أن
قال: « فكان ذلك زاجر نصيحة، ونذير عظيمة، نذل لها قياد النفس،
وانخفض لهما جناح العجب ».

(١) أول من عنى بطبعه الموسيو مقس أنقر وطبعها بمدينة بن سنة ١٨٥٣ م

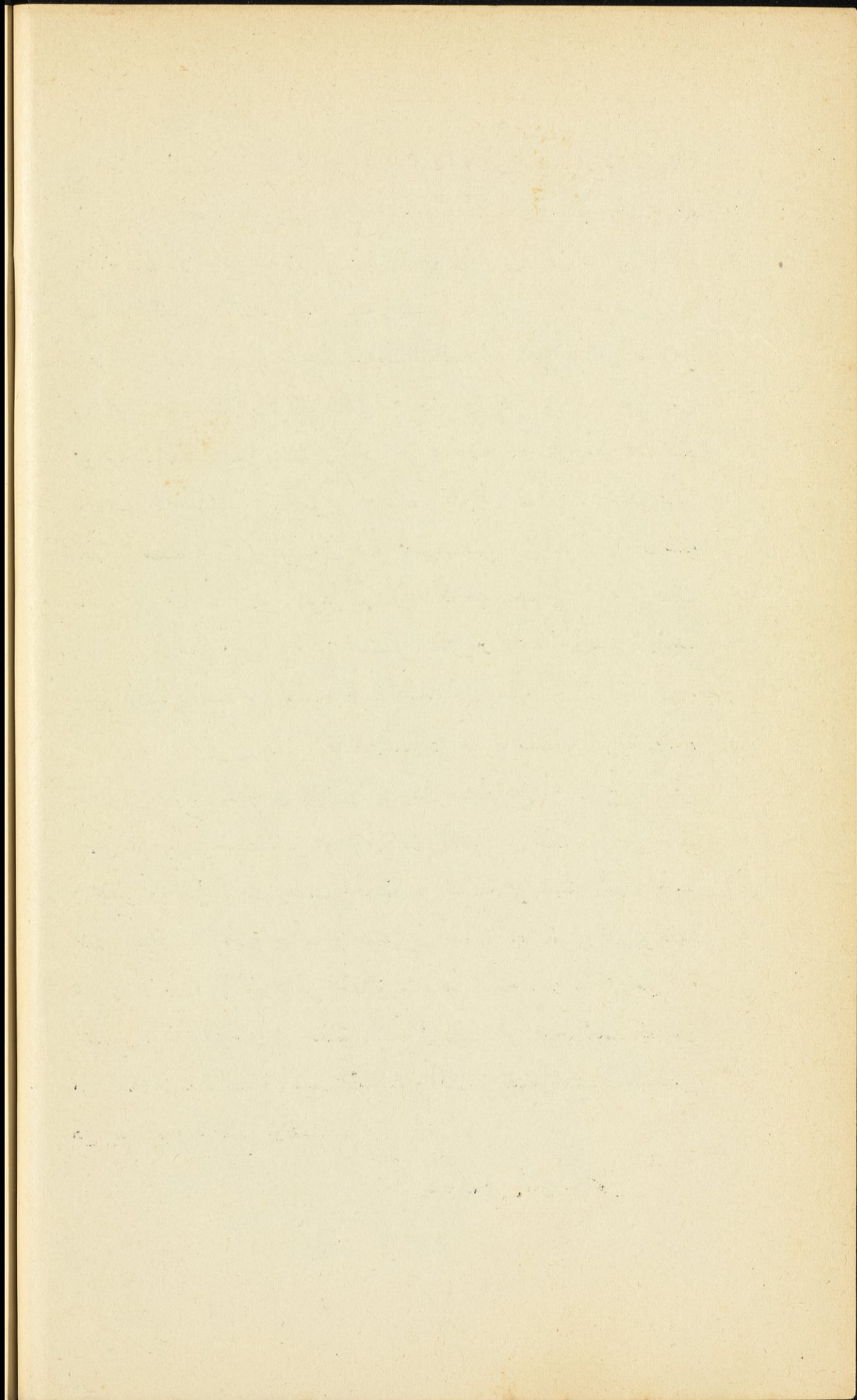
سنة ١٢٦٩ هـ.

(٢) قال ياقوت في معجم الأدباء: اطلعت عليه وهو في مجلد حجم الايضاح لأبي علي الفارسي

(ط)

ومن المسائل البارزة في حياة الماوردي انهامه بالاعتزال . قال
ابن الصلاح : هذا الماوردي عفا الله عنه وقد كنت لا أتحقق ذلك عليه ،
وأأول له ، وأعتذر عنه في كونه يورد في تفسيره في الآيات التي يختلف
فيها أهل التفسير ، تفسير أهل السنة وتفسير المعتزلة ؛ غير متعرض لبيان
ما هو أحق منها » ويقول صاحب طبقات الشافعية تعقيماً على قول ابن الصلاح :
« وأقول لعل تصده إيراد كل ما قيل من حق أو باطل ، ولهذا يورد من
أقوال المشبهة أشياء مثل هذا الإيراد ، حتى وجدته يختار في بعض المواضع
قول المعتزلة وما بنوه على أصولهم الفاسدة » إلى أن يقول : « ثم هو ليس
معتزلياً مطلقاً فإنه لا يوافقهم في جميع أصولهم مثل خلق القرآن كما دل عليه
تفسيره في قوله عز وجل : (وما يؤتيهم من ذكر من ربهم محدث) وغير ذلك
ويوافقهم في القدر وهي البلية التي غلبت على البصريين وعبوا بها قديماً » إلى هنا
ينتهي قول ابن الصلاح وقول صاحب الطبقات في مسألة اعتزال الماوردي .
ولعمري إن هذه الأقوال لتدلنا على مزية جليلة من مزايا الامام
الماوردي وترفع بقدره في نظرنا لأنها برهان ساطع على أن الرجل لم يكن
رجل علم وأدب فحسب . بل هو فوق ذلك وأفضل من ذلك ، رجل بحث
وتحقيق ورجل البحث يطاب الحقيقة . والحقيقة هي ضالته أينما وجدها
فليس بضائره أن يجد وجهاً من وجوهها في أصول المعتزلة ؛ وان يوافقهم
عليها وأن يجتهد في غيرها من الحقائق عند أهل السنة ، لأنه كان من أئمة
المجتهدين وكبار الباحثين في الحقائق ، شأنه في ذلك شأن جميع العلماء العاملين
من رجال السلف الصالح ، طيب الله ثراهم وألهب في نفوس الشباب الناهض
من أبناء العروبة حماس الاقتداء بهم .

عبد العزيز أمين الخانجي



الرسائل النادرة

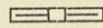
٥-
أدب الوزير للماوردي
المعروف بقوانين الوزارة وسياسة الملك

مكتبة النجاشي

لاصحة شامخا اولاد محمد رامين النجاشي

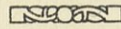
بشاعة عبدالعزیز بن محمد

صندوق البوستة رقم ١٩٢٥



صحة

مسن الرادي مسين



طبعة أولى

١٣٤٨ هـ - ١٩٢٩ م

حقوق الطبع محفوظة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(وبه نستعين)

قال الامام ؛ قاضى القضاة أبو الحسن ، على بن محمد بن حبيب
الماوردي رحمه الله تعالى برحمته : الحمد لله على ما هدي وأرشد ، وله الشكر
على ما وفق وسدد . وصلى الله على رسوله الطاهرين ، وأوليائه البررة المنتخبين ،
وسلم تسليماً كثيراً .

أما بعد ؛ فقد التزم الطاعة من دعا اليها ، وفعل الخير
من أرشد اليه ، ولئن كانا في جيلة ذوي الفضل مر كوزين ، فما يستغني
الظن بكائه عن يقظة منبه ، ولا يكتفي اللبيب بحزمه عن عظة مذكر ؛
لأن الهوي معترض يخدع بغرامه ؛ ويحتجب بغمامه . وأنت أيها الوزير -
أمدك الله بتوفيقه - في منصب مختلف الاطراف ؛ تدبر غبرك من الرعايا
وتتدبر بغبرك من الملوك ؛ فأنت سائس مسوس ؛ تقوم بسياسة رعيتك
وتنقاد اطاعة سلطانك ، فتجتمع بين سطوة مطاع وانقياد مطيع ، فشطر
فكرك جاذب لمن تسوسه ؛ وشطره مجذوب لمن تطيعه وهو أثقل الاقسام
الثلاثة محملاً ، وأصعبها مركباً ، لأن الناس : ما بين سائس ؛ ومسوس ، وجامع
بينهما . ولك هذه الرتبة الجامعة . فأنت تجمع ماختلف من أحكامها ، وتستكمل
ما تباين من أقسامها ، ويديك تدبير مملكة صلاحها مستحق عليك ، وفسادها
منسوب اليك . تؤاخذ بالاساءة ولا يعتد لك بالاحسان ، تلان لك المبادئ
بالارغاب ؛ وتشدد عليك الغايات بالاعتاب ، مستظها تستكفي اعتداد الاحسان
اليك ؛ وتسلم من غب المؤاخذة لك ، ويلزمك ضدها في حق سلطانك أن
لا يعتدى عليه بصلاح مملكه ، لأنك للصلاح مندوب ، ولا تعتذر اليه من

اختلاله ، لأن الاختلال اليك منسوب . واجعل اعتذارك سعيك واجتهادك ،
 فلسان الفعال انطق من لسان المقال ، اظهور وشواهد ، فان عارضتك الاقدار
 عذرتك القلوب ، وان لم تنطق به الافواه ، لعجز الخاق عن قضاء الحق ،
 وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : لا يغني حذر عن قدر . وقيل
 في منشور الحكم : توك كل التوقى ولا حارس من الأجل ، وتوكل كل
 التوكل ولا عذر في التغير ، واطب كل الطاب ولا تسخط لما جاب المقدر .
 ولأن تكون ان ملكت اختيارك متاركا في زمان الكدر ؛ أولى من أن
 تكون مغالبا للقدر . وقد قيل في منشور الحكم : ما كان عنك معرضاً ؛ فلا تكن
 له متعرضاً . فان دعاك الاضطرار إلى الملابس ، فان للزمان ولا تخاشنه . فقد
 قال بعض الحكماء : من سعادة الانسان أن لا يكون عند فساد الزمان مديراً
 للزمان ؛ فساح وقتك ان جار ، وغالطه ان ثار كما قال الشاعر :

فاخط مع الدهر إذا ما خطا واجر مع الدهر كما يجرى

والله تعالى يمد بالمعونة من وفقه ، وأرجو أن تكون منهم .

واعلم أيها الوزير انك مباشر لتدبير ملك له أس . هو الدين المشروع ، ونظام .
 هو الحق المتبوع . وقد قيل : منازع الحق محضوم ، فاجعل الدين قائمك ، والحق رائدك ،
 يذل لك كل صعب ، ويتسهل عليك كل خطب ؛ لأن لادين أنصارا ، وللحق أعواناً ؛
 إن قعدت عنك أجسادهم ؛ لم تقعد عنك قلوبهم . وحسبك أن تكون القلوب
 معك . وقيل لبعض الحكماء : أي الجند أوقى ؟ قال : الدين . قيل : فأبي العدد أقوى ؟
 قال : العدل . وللدين سلطان قد انقادت اليه امامته ، واستقرت عليه دعامته ،
 فاجعله ظهيرا لك في أمورك ، وعونا لك على تدبيرك ، تجد من القلوب خشوعا ،
 ومن النفوس خضوعا ، فما اعتزت بملكه اليه إلا صالت ، ولا تحققت بشعاره
 إلا طالت . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « ما من رجل من

المسلمين أعظم أجراً من وزير صالح مع امام يطيعه ويأمره بذات الله تعالى »

واجعل الله تعالى عليك في خلواتك رقيباً رغب ورهب ؛ تقودك الرغبة الى طاعته ، وتصدك الرهبة عن معصيته ، ليسلم باطنك من العيوب ، ويخلص سرك من الذنوب . وقد نفسك الى العدل ، ينقد الناس به الى طاعتك ، ويكفوا به عن معصيتك ، ويقتصروا عليه في مطالبتك ؛ فان من جازف في الأخذ جوزف في الطلب ، ومن ناصف نوصف . والعرب تقول في المجازفة من أمثالها : دخل بيتاً ما خرج منه . [وقال السيد المسيح : بالمكيال الذي تكيلون يكال لكم] وتزادون . وقال الشاعر :

ومن ظن بمن يظهر السوء أنه يجازي بلا سوء فقد ظن منكراً
واعلم أنك لن تستغزر موادك الا بالعدل والاحسان ؛ ولن تستندرها
بمثل الجور والأساءة ؛ لأن العدل استثمار دائم ، والجور استئصال منقطع .
وقد قيل في منشور الحكم : بالعدل والانصاف ، تكون مدة الائتلاف .
وليس يختص العدل بالأموال دون الأقوال والأفعال . فعذلك بالأموال
أن تؤخذ بحقها ، وتدفع الى مستحقها ، لأنك في الحقوق سفير مؤتمن ؛ وكفيل
مرتهن ، عليك غرمها ، ولغيرك غنمها .
وعذلك في الأقوال أن لا تخاطب الفاضل بخطاب المفضول ،
ولا العالم بخطاب الجهول ، وتقف في الحمد والذم على حسب
الأحسان والأساءة ، ليكون ارغابك وارهابك على وفق أسبابهما من غير
سرف ولا تقصير ، فلسانك ميزانك . فاحفظه من رجحان أو نقصان . وقد
قال بعض الحكماء : جعل الله الانسان أفضل الحيوان ، وصير أفضل جارحة
فيه اللسان ، فجعله للضائر ترجماناً ، ولما جمعت العقول والبصائر تبياناً ، وبين
الحق والباطل فرقاناً ، ولقد قال الاحنف بن قيس : « النطق مسفرة ، والصمت
مسترة » وللكلام روية تتقدم على المعاني دون الألفاظ ، فكل المعاني الى
رويتك ، وفوض الألفاظ الى بديتهك ، فان ابتكار المعاني خطر ،
والروية في الألفاظ لکن . ولأن يكون الكلام مطبوعاً ، أولى من يكون

مصنوعا.. إلا أن يكمل الخاطر بشوائب الهموم، ويكون الكلام مع ذي قدر عظيم، فيروى في الاختصار، ففي الإكثار عثار، يفضى إلى ضجر إن استرذل، وإلى ملل إن استنقل. وقد قيل: أول العي الاختلاط، وأسوأ القول الإفراط. ولذلك قيل الحصر خير من الهذر، لأن الحصر يضعف الحججة، والهذر يتلف المهجة.. وقال عبد الحميد: العاقل للسانه عاقل. وقيل في منشور الحكم: إذا تم العقل نقص الكلام.

وعذلك في الأفعال أن لا تعاقب إلا على ذنب، ولا تغفو إلا عن إنابة، ولا يبعثك السخط على أطراح المحاسن، ولا يحملك الرضا على الغفو عن المساوي. حكى عن سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام أنه قال: أعطيت ما أعطى الناس وما لم يعطوا؛ وعلمت ما علم الناس وما لم يعلموا. فلم أعط شيئا أفضل من الحق في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، وخشية الله في السر والعلانية. وقد قال بعض الحكماء: «من سكرات السلطان الرضا عن بعض من يستوجب السخط^و، على بعض من يستوجب الرضا.» وكلا لا تستوي الحسنة ولا السيئة؛ كذلك لا يستوي المحسن والمسيء. وقد قيل: أخبت الناس، المساوي بين المحاسن والمساوي. فاجتذب بأفعالك ما ناسبها، وقابل بمجازاتك ما أوجبها، واجعل جزاء الأفعال بحسبها من إحسان وإساءة، يستوجب بهما ثواب وعقاب؛ فان لميلك ورضاك حكما سواء، إن وصلت عليه خرجت عن المجازاة إلى التبرع بالصلاة، وأنت في تبرعك بخير، وفي مجازاتك مضطر. وقد قال الحسن البصري: المؤمن لا يحيف على من يبغض، ولا يأثم في من يحب. فأما التقريب والابعاد؛ فيجوز أن يعتبر بالسخط والرضا؛ إذا لم تحط بهما ذوي الإقدار؛ وترفع بهما أهل الخمول؛ لأن لك خيارك أن تتدنى بتقريب من أردت، وابعاد من كرهت، إذا سلم رأيك من تقريب ذي النقص وابعاد ذي الفضل؛ فستطر بتقريب الناقص وابعاد الفاضل؛ وإن كان التشا كل مر كوزا في الغرائز. وقد قال بعض

البلغاء : لا تصطنع من هانته الأصل ؛ ولا تستصحب من فاته العقل ؛ لأن من لا أصل له يغش من حيث ينصح ، ومن لا عقل له ؛ يفسد من حيث يصلح . وذلك مما يعسر توقيه ، ويقوت تداركه وتلافيه ، وليكن وفاؤك بالوعد حتماً ، وبالوعد حزمياً ؛ لأن الوعد حق عليك ؛ والوعد حق لك على غيرك ؛ فكنت فيه على خيارك ، فمن أجل ذلك لم يجز إخلاف الوعد ؛ وإن جاز إخلاف الوعد . وقد قال أحد الشعراء :

وإني وإن أوعدته أو وعدته لمخاف إيعادي ومنجز موعدى
لكن ينبغي أن يقترب بخلف الوعد عذر حتى لا يهون وعيدك ليكون نظام الهيئة به محفوظاً ، وقانون السياسة فيه مضبوطاً ؛ فأظهره إن خفى لتكون باخلاف وعيدك معذوراً ؛ وبغفوك عنه مشكوراً ؛ وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : ما ازداد أحد بالغوا إلا عزا . وللوعد والوعد شرطان : أحدهما ، أن يكونا مستحقين ما أوجبهما من احسان واساءة ، والثاني أن تقترب بتقديمهما على الثواب والعقاب مصلحة في ترغيب وترهيب ؛ فإن لزم تقديم الثواب والعقاب على الوعد والوعد ، كان الوعد تقصيراً والوعد عجزاً . وقد قال بعض الحكماء : الوعد مرض المعروف ، والانجاز برؤه ، والمطل تلفه . وقال بعض البلغاء : إذا احسنت القول فاحسن الفعل ، ليجمع لك مزية اللسان وثمره الاحسان ، فانك لا تخلو في خلفه من ذنب تكتسبه أو عجز تلتزمه . وليكن فعلمك أكثر من قولك ، فان زيادة القول على الفعل دناءة وشين ، وزيادة الفعل على القول مكرمة وزين ، ولا تجعل لغضبك سلطاناً على نفسك ، يخرجك من الاعتدال الى الاختلاف ؛ فان يسلم بالغضب رأي من زلل ، وكلام من خطل ، لأن ثورته طيش معر ، ونفرته بطش مضر ، لأنه يخرج عن التأديب الى الانتقام ، وعن التقويم الى الاصطلام . ولذلك قيل : أول الغضب جنون ، وآخره ندم . وقال ابن عباس : لم يمل الى الغضب إلا من اعياه سلطان الحجمة . وقال بعض السلف

إيائك وعزة الغضب ، فانها تفضى بك الى ذل الاعتذار . وقال بعض الحكماء :

من كثر شططه كثر غلظه . وقال بعض الشعراء :

ولم أر الأعداء حين اختبرتهم عدواً لعقل المرء أعدي من الغضب

وليكن غضبك تغاضبا ، تملك به عزمك ، وتقوم به خصمك . قاسم

من جور غضبك وتقف على اعتدال تغاضبك . فقد قيل في بعض صحف

بنى اسرائيل : اذا كان الرجل ذا غضب تواترت عليه الوضائع ؛

فكلما اشتد غضبه ازداد بلاء . وقال بعض الحكماء : الغضب يصدى

العقل . وكتب كسرى ابرويز الى ابنه شيرويه : إن كلمة منك تسفك دما ،

وإن أخرى منك تحقق دما ، وإن نفاذ أمرك مع ظهور كلامك ؛ فاحترس في

غضبك من قولك أن يخطيء ، ومن لوانك أن يتغير ، ومن جسدك أن يخف ؛

فإن الملوك تعاقب قدرة ، وتعفو حلما . وقد يقترن بالغضب لججاج يساويه في

معرفته ، ويشاركه في مضرته ؛ لأن اللجاج التزام الخطأ وإطراح الثواب . فدع

عنك لججاج الألد الخصم ، وتجنب عواقب النذل القدم ، وتابع الرأي فيما

اقتضاه ، فلن يقبح بك العدول اليه بعد لججاجك ، ولأن تنتفع بالرأي أولى

من أن تستعز باللجاج . وقد قال بعض الحكماء : من استعان بالرأي ملك ،

و من كابد الأُمور هلك . وقال ابن المقفع : دع اللجاج فإنه يكسر عزائم العقول .

وقيل في منشور الحكم : الظفر لمن احتج لا لمن لج . وقيل فيه : اللجوج يدخل

فيما ليس منه خروج .

واعلم أن الجد والهزل ضدان متنافران ؛ لأن الجد من قواعد الحق

الباعث على الصلاح . والهزل من مرح الباطل الداعي الى الفساد ؛ فصار

فرق ما بين الجد والهزل ، هو فرق ما بين الحق والباطل ؛ وتنافر الاضداد

يمنع من الجمع بينهما . فاذا انفردت باحدهما كنت للآخر تاركا . وقد قيل الحق

مفروض ، والباطل مرفوض . وقال علي كرم الله وجهه : العقل حسام قاطع

والحلم غطاء سابغ ، فقاتل هواك بعقلك ، واسترخلل خلقك بحلمك ، واستعمل

الجد ينقد اليك الحق ، ويفارقتك الباطل ، ولا تعدل الى الهزل فيتبعك الباطل ، وينافرك الحق. ولقلبا اثلبت هية الجد وتكاملت هية الهازل ، والهية أس السلطنة . وحكى عمرو بن مرة أن رجلا من قريش قال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه : لن لنا ، فقد ملأت قلوبنا هية ، فقال أفي ذلك ظلم ؟ قال : لا . قال : فزادنى الله في صدوركم مهابة . وقال حكيم الهند : ليكن فيك مع طلاقتك تشدد ، كيلا يحترأ عليك بالطلاق ، وينفر منك بالتشدد ؛ فاما الهزل فيكون من سخف أو بطر يحل عنهما من ساس الرعايا ، ودبر الممالك . قال بزرجهر : الهزل آفة الجد ، والكذب عدو الصدق ، والجور مفسدة الملك . وقال ملك الهند للاسكندر ، وقد دخل بلاده : ما علامة دوام الملك ؟ قال : الجد في كل الامور . قال : فما علامة زواله ؟ قال : الهزل فيه . وقد قيل : من أبطرت النعمة وقره زوالها . وليس الكبر والعنف جدا ، ولا التواضع واللطف هزلا ؛ وربما تدلست هذه الاخلاق بغلبة الهوى ونازع الفطرة ، فخرج صاحبها بالجد كبرا وعنفا ، ليكون بهية الجد أحق ، ومن سخف الهزل ابعده ؛ وهذا غير محسوس ، لأن الكبر والتواضع من شيم النفوس كالسخاء والبخل والجد والهزل من أفعالها كالحق والباطل ؛ فتباعدا في السبب واختلفا في المسبب . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اذا أراد الله بعبده خيرا جعل له واعظا من نفسه » . وقيل في منشور الحكم : اذا عرفت نفسك لم يضرك ما قيل فيك .

وربما استكد الجد خاطر المجد ، فاستروح ببعض الهزل ليستعين به على مصابرة الجد . فقد قيل في منشور الحكم : الهم قيد الحواس . وحكى عن أبي الدرداء أنه قال : انى لا أستجم نفسى بالشيء من الباطل ، ليكون أقوى لها على الحق . وقيل في منشور الحكم : ما أكثر من نهى فأغرى ، فلا بأس أن يستسر منه في زمان راحته ، وأوقات خلوته ، بمقدار دوائه من دائه ، فان الكلال ملال ، وليس للهلول حزم ولا عزم . وليكن فيما

يتعلل به من الهزل محافظاً على دينه وصيانة مروءته ، ويخرج هذا القدر عن حكم ماذم من الهزل ، لانه عون على ما يحمد من الجد . كما قال الشاعر :

أفد طبعك المكدود بالجدراحة يحجم وعلله بشيء من المزح
ولكن إذا أعطيته المزح فليكن بمقدار ما يعطى الطعام من الملح
وكما تنافر الجد والهزل ، كذلك تنافر الصدق والكذب ، ضدان متنافران تختلف علمهما ، وتفترق نتائجهما . فالصدق من لوازم العقل ، وهو أس الدين ؛ وقوام الحق . والكذب من غرائز الجهل ، وهو زور يقترن بغرور ، ان التبست أو ائله انتهكت أو اخره ، وان جر التباسه نفعاً ، عاد انتهاكه ضرراً ، فلم يسلم من معرفة زور ، ومضرة غرور . وقد روى عقبه ابن عامر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : «أعظم الخطايا اللسان الكذوب» . وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : لان يضغنى الصدق - وقلبا يفعل - أحب إلى من أن يرفعنى الكذب - وقلبا يفعل - . ووجدت لسليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام فى سفر حكيمته انه قال : الذى يلج بالكذب يرعى الرياح . وهذا من أوضح الامثال بياناً وعياناً .

فصل

(فى معنى الوزارة)

وإذا مضت هذه الفصول فى مقدمات الوزارة فاسمها مشتق من معناها .. واختلف فيه على ثلاثة أوجه ، أحدها : انه من الوزر وهو الثقل ، لأنه يحمل عن الملك أثقاله . والثانى : انه مشتق من الأزر وهو الظهر ، لأن الملك يقوى بوزيره كقوة البدن بظهره . والثالث . أنه مشتق من الوزر وهو الملجأ ومنه قوله تعالى : (كلا لا وزر) أى لا ملجأ ، لأن الملك يلجأ إلى رأيه ومعونته ، لان عليه مدار السياسة واليه تفوض الاموال . وقد قال بعض ملوك الفرس : الوزراء ساسة الاعمال ، وحازة الاموال .

وإذا كان كذلك فالوزارة ضربان : وزارة تفويض تجمع بين كفايئ
السيف والقلم . ووزارة تنفيذ : تختص بالرأى والحزم . ولكل واحدة
منهما حقوق وشروط .

فأما وزارة التفويض الجامعة بين كفايئ السيف والقلم ، فهي أعم نظراً ،
وأفدأ أمراً . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « خلق الله الدنيا
للسيف والقلم ، وجعل السيف تحت القلم » . وهذه الوزارة هي الاستيلاء على
التدبير ، والعقد ، والحل ، والتقليد ، والعزل ، فاما العقد ، فيشتمل على شرطين :
تنفيذ و اقدم ، وأما الحل فيشتمل على شرطين : دفاع و حذر ، فصار الحل
والعقد هنا أحد شرطي هذه الوزارة يشتملان على أربعة شروط : تنفيذ ،
ودفاع ، و اقدم ؛ و حذر . ولكل شرط منها فصل يشتمل على فصول .

فاما الفصل الاول ، وهو التنفيذ . فهو أس الوزارة ، وقاعدة النيابة ، وهو
الأخص بكفاية القلم في مصالح الملك واستقامة الأعمال ، ويشتمل على أربعة أقسام :
أحدها تنفيذ ما صدرت به أوامر الملك ، فعلى الوزير فيها حقان : أحدهما أن
يتصفحها من زلل في ابتدائها ، ويحرسها من خلل في أثنائها ، ليرده عن زللها
باللطف ، ويقوى عزمه على صوابها بالاحكام . وقد قال افلاطون : أول رياضة
الوزير أن يتأمل أخلاق الملك ومعاملته ، فان كانت شديدة فظة ، عامل الناس
بدونها ، وان كانت لينه مطلقة عاملهم بأقوى منها ، ليقترب من العدل في
سعيه ، والثاني تعجيل امضاءها للوقت المقدر لها ، حتى لا يقف فيوحش ،
لأن و قوف أو امره يووحش ، وهو مندوب للتنفيذ دون الوقوف . وقد
قال حكيم الهند : العجلة في الأمر خرق ، وأخرق من ذلك التفريط في الأمر
بعد القدرة عليه . وقال بعض حكماء العرب : كم من عزيز أذله خرقه ! و من
ذليل أعزه خلقه ، ودرك هذا التقليد عائد على الملك دون الوزير .

والقسم الثاني تنفيذ ما اقتضاه رأي الوزير من تدبير المملكة فعليته في امضاءه
حقان : أحدهما أن يراعى أولى الأمور في اجتهاده و أصوبها في رأيه ، لانه مندوب

دفاع

وزارة
تفويض

وزارة
تنفيذ

لا صلاحها وماخوذ بأصوبها . والثاني أن يطالع الملك به ان جل ،
 ويجوز أن يطوبه عنه ان قل ، ليخرج عن الاستبداد المنفر ، ويسلم من الحقد
 المؤثر . وقد قال حكيم الهند: الاحقاد مؤثرة ، حيث كانت ، وأخوفها ما كان
 في أنفس الملوك ، لانهم يدينون بالانتقام ، وپرون الطلب بالوثر مكرمة
 ونفرا ، فان عارضه الملك في رأيه بعد المطالعة به لم يستوحش من معارضته
 لانه ملك مستنيب ، وظان مستريب ، وقابل بين رأيه ومعارضته فيه ،
 واستوضح منه أسباب المعارضة بلطف ، ان خفيت . فقد قيل : الكلام اللين
 مصائد القلوب ، فان وضح صوابها ، توقف عن رأيه وشكره على استدراك
 زلله ، وتلافي خلله ، وقد من عليه إذ صفح ولم يؤنب ، وان كان الصواب
 مع الوزير تطف في ايضاح صوابه ، وكشف علله وأسبابه ، فان ساعده على
 امضائه أمضاه ، وكان درك تنفيذه عائدا على الوزير دون الملك ، وان لم
 يساعده عليه توقف عنه انقيادا لطاعته . فقد قال بعض السلف : من ضن
 بعر ضه فليدع المرء . وقال : خل الطريق لمن لا يفيق ، ويكون درك وقوفه
 عائدا على الملك دون الوزير .

(والقسم الثالث تنفيذ ما صدر عن خلفائه على الاعمال التي
 فوضها إلى آرائهم ، ووكلاها إلى اجتهادهم ، فان تفردوا بتنفيذها
 أمضاها لهم ، ولم يتعقبها ما لم يتحقق زللهم فيها .) وكان درك تنفيذها
 عائدا على العمال دون الوزير ، وان وقفوها على تنفيذ الوزير ، فعليه
 في تنفيذها حقان : أحدهما أن يستكشف عن اسبابها ليعلم خطأها من صوابها :
 والثاني تقوية أيديهم ونفي الارتياب عنهم ، فان ظهور الارتياب يخيبهم . وقد
 قال حكيم الفرس : ليس أحد أبعد من الخير من اثنين منزلتهما واحدة ، وعللها
 مختلفة ، أحدهما من لا يثق بأحد ، والثاني من لا يثق به أحد ، فان نفذها لهم
 حين لم يتحقق زللهم فيها ، كان درك تنفيذها عائداً على العمال دون الوزير ،
 وإن وقفها كان درك وقوفها عائدا على الوزير دون العمال .

والقسم الرابع تنفيذ أمور الرعايا على ما ألفوه من عادات ومعاملات، واختلفوا فيها حتى اختلفوا بها؛ لأن الناس مجبولون على الحاجة الى أنواع لا يقدر الواحد أن يقوم بجميعها، فحولف بين هممهم لينفرد كل قوم بنوع منها؛ فيأثقفوا بها فيقوم الزراع بمزارعهم؛ ويتشغل الصناع بصنائعهم. ويتوفر التجار على متاجرهم. وقد قال حمير الملك لوزيره: الناس أربع طبقات طبقة للفروسية أحقهم بالشرف، وطبقة لاقامة الديانة أحقهم بالكفاية، وطبقة للزراعة والعمارة أجرهم على الانصاف، وطبقة للهن لا تخلهم من الاحسان. وعليه في تنفيذها لهم حقان: أحدهما أن لا يعارض صنفا منهم في مطلبه؛ والثاني ان لا يشاركه في مكسبه. وربما كان للسلطان رأي في الاستئثار من أحد الاصناف فينقل اليه من لا يألفه فيختل النظام بهم فيما نقلوا عنه وفيما نقلوا اليه، لأن تمييزهم بالهام الطباع اعدل في ائتلافهم من التصنع لها، وربما صن السلطان عليهم بمكاسبهم فتعرض لها او شاركهم فيها، فاتجر مع التجار، وزرع مع الزراع، وهذا وهن في حقوق السياسة، وقدح في شروط الرياسة من وجهين: أحدهما أنه اذا تعرض لأمر قصرت فيه يد من عداه، فان تورك عليه لم ينهض به، وان شورك فيه ضاق على أهله. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «ما عدل وال اتجر في رعيته». والثاني ان الملوك أشرف الناس منصبا، فخصوا بمواد السلطنة لأنها أشرف المواد مكسبا، فان زاحموا العامة في درك مكاسبهم أو هنوا الرعايا بسوء الممالك، وعاد وهنهم عليها فاختلف نظامها، واعتل مرامها. وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «اذا اتجر الراعي أهملت الرعية». وقال بعض الحكماء: اذا لم يكن في سلطان الملك سرور الرعية، كان ملكه ظلما. وكتب حكيم الروم الى الاسكندر: أي ملك تطلعت نفسه الى المحقرات فالموت اكرم له.

فصل

(الدفاع بمهمة الوزير)

فاما الفصل الثاني وهو الدفاع . ويشتمل الدفاع على اربعة اقسام :
 أحدها الدفاع عن الملك من الأُوَلياء ، والثاني الدفاع عن المملكة من
 الأعداء ، والثالث دفاع الوزير عن نفسه من الأُكفاء ، والرابع دفاعه
 عن الرعية من خوف واختلال .

فاما القسم الاول في دفاعه عن الملك من أُوَليائه فيكون بثلاثة اسباب :
 أحدها أن يقودهم الى طاعته بالرغبة ؛ ويكفهم عن معصيته بالرهبة ؛ فان
 الرغبة والرهبة إذا تواليا على النفس ذلت لهما وانقادت خوفا وطمعا ، وبهما
 تعبد الله الخلق في وعد الله و وعيده : والثاني أن يقوم بكفائتهم حتى لا ينفروا
 بالقوة أو يتفرقوا بالضعف ، وكلاهما قدح في الملك لأنهم بالقوة أعداء مسيطون ،
 وبالضعف عجزة مستبدلون . وثبات الملك يكون بان تكون القوة للسلطان
 ليصير قاهراً لهم ، ولا تكون القوة لهم فيصير مقهوراً بهم . بلغ المأمون أن
 الجند بخراسان شغبوا ونهبوا فكتب الى عامله بها : لو عدلت لم يشغبوا ، ولو قويت
 لم ينهبوا : والثالث أن يحفظهم من الاغواء ، ويحرسهم من الاغراء ، وذلك
 بأمرين : أحدهما بالبحث عن اخبارهم حتى يعلم سليمهم من سقيمهم : والثاني
 بابعاد المفسدين عنهم حتى لا يتعدى اليهم فسادهم ، فان الكف بحسب
 الكشف ، والمهل زائغ أو رائغ ولاخير في واحد منهما لضلال الزائغ ومخاتلة
 الرائغ . وقد قيل في منشور الحكم : من علامة بقاء الدولة قلة الغفلة .

والقسم الثاني في دفاعه عن المملكة من أعدائها ؛ وأعداء الممالك من انفراد
 بملك أو امتنع بقوة . وهم ثلاثة اصناف : ا كفاء المائلون ، وعظماء متقدمون ، وناجمة
 متنافسون . فاما الا كفاء المائلون فيدفعون بالمقاربة والمسالمة . وأما العظماء
 المتقدمون فيدفعون بالملاطفة والملاينة . وأما الناجمة المنافسون فيدفعون

بالسطوة والمخاشنة. فان اختلاف الرتب يوجب تباين اهلها وتنافي احوالها. فان
 انقاد للأعلى انقاد له الأدنى، يدين بما دان. كما قال النبي صلى الله عليه وسلم « كما تدين
 تدان ». وأن ناكر نوكر وكان على وجل من سطوة العالی ومنافرة الدانی. وقد
 قال بعض الحكماء: من قلت تجربته خدع، ومن قلت مبالاته صرع. وان استغنى
 عن محاربة احد هم كف عنها وهول بها، ولم يخرق حجاب الهيبة؛ ولم يقطع اسباب
 المراقبة؛ ليحظى باربعة اشياء: دعة المسالمة، والأمن من خطر المناجزة، وبقاء
 الاموال، وراحة الاجناد. وقد قالت القدماء: خذ بالاناة ما استقامت لك، واقبل
 العافية ما وهبت لك، ولا تعجل الى مناجزة العدو ما وجدت الى الحيلة سيلا،
 ولا تسأمن من مطاولة عدوك، فان لك في الابطاء انتظار الفرصة، وظفر ابغورة،
 وتوق طلب الظفر باللقاء، فانه لا يكاد ينال الا بالاطار. ولتكن الرغبة منك
 في طاعة عدوك اكثر عندك من الغنيمة، تصب به سلامة اصحابك ورعتك.
 وقد قال علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه: خذ على عدوك بالفضل، فانه أحد
 الظفرين. وإن دعت الضرورة الى المناجزة بعد الا عذار والانداز، أيقظ لها عزمه
 واستعمل فيها حزمه؛ واقدم عليها بعد الاستخارة متبعاً للدين، ومستعملاً للعدل.
 فلن يعدل عنهما الا باغ مصروع، وقد قال بعض الحكماء: من سل سيف البغي
 اغمد في رأسه، ومن أسس اساس السوء اسسه على نفسه. وليكن الحذر
 جنته، والاستظهار عدته، وقد قال حكيم الفرس: احذر التفريط في الامور
 اتكالا على القدر، فان لكل قدر سيبا يجرى اليه؛ فسبب النجاح العمل، وسبب
 الخيبة التفريط، وكان يقال: تفكر قبل أن تعزم، وتبين قبل أن تهجم، وشاور
 قبل أن تقدم. واذا وضعت الحرب اوزارها على ظهر وغلبة صفح وتألف.
 فقد كتب حكيم الروم الى الاسكندر: اذا ظهرت الغلبة على قوم فضع مع اوزار
 الحرب الغضب، لأنهم في الحال الأولى اعداء، وهم في هذه الحال خول،
 فابدلهم بالغضب رحمة، وباللائى احسانا.

والقسم الثالث في دفاع الوزير عن نفسه من ا كفاؤه ، فتكون بعد
استصلاح الطرفين الاعلى وهو الملك، والادنى وهم الاعوان. وا كفاؤه ثلاثة :
واتر ، وموتور ، ومنافس .

فاما الواتر : فقد بدا بشره ، وجاهر بعداوته ؛ وكلاهما بغى منه يؤنس
بالنصر عليه ، وقد قال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام : سهم الظالم
يرجع عليه ، لأن عقوبته تسرع اليه ، وقد قال بعض الحكماء : من فعل الخير
فبنفسه بدأ ، ومن فعل الشر فعلى نفسه جنى . ولك في بره حقان حق في مقابلته
على ما قدم من بره ، وحق في استدفاع ما جاهر به من عداوته ، فاما حقك في
المقابلة فان عفوت عنها كنت بالفضل جديرا ؛ وإن قابلت عليها كنت في المقابلة
معدورا . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال «من أراد أن يشرف
الله له البنيان، وأن يرفع له الدرجات يوم القيامة ؛ فليعف عن ظلمه ، ويصل
من قطعه، وليعظم من حرمه، وليحلم عن جهل عليه» وقال المنتصر : لذة العفو أطيب
من لذة التشفي ، لأن لذة العفو يتبعها الحمد ، ولذة التشفي يعقبها الندم، قال الشاعر :

وليس اعتذاري من قبيح بنافع اذا قيل لى يوما وصدق قائله

فانك تلقى فاعل الشر نادما عليه ولم يندم على الخير فاعله

وأما حقك في استدفاع عداوته ، فقد أيقظك بمجاهرتة ، واوهن كيده
بمظاهرتة . وقد قيل في منشور الحكم : اوهن الأعداء كيدا أظهرهم بعداوتة ؛
فاحذر بادرتة وادفع عداوتة . ودفعها مختلف باختلاف طباعه في اثباته الرغبة أو
تقويمها بالرهبة . وقد قال لقمان لابنه : يا بني اعتزل الشر يعتزلك فان الشر للشر خلق . وقد
قيل في الصحف الأولى : الشرير شره عليه . وقال الحسن بن سهل - وحدث الفهلمان :
ثلاثة لا يصاح بسادهن بشيء من الحيل : العداوة بين الاقارب ، وتحاسد الا كفاء ،
والركاكة في الملوك . وثلاثة لا يستفسد صلاحهن بنوع من المكر : العبادة في
العلماء ، والقنوع في المستبصرين ، والسخاء في ذوى الاقدار . وثلاثة لا يشبع منهن :
الحياة والمال والعافية .

وأما الموتور : فقد بودىء بالاساءة فصبر ، وجوهر بالعداوة فأخفاها .
 فله ترة مظلوم ووثبة محتلس ، فتوقى ترة ظلامته بالاستعطف ، وتوقى وثبة
 مخالسته بالاحتراز . وقد روى مجالد عن الشعبي عن ابن عباس عن النبي صلى
 الله عليه وسلم أنه قال : « إياكم والمشاركة فانها تدفن الغره وتظهر العره » . وقد
 قيل في امثال الحكم : ثلاثة القليل منها كثير ، النار والعداوة والمرض . قال الشاعر :

فلا تأمن الدهر حراً ظلمته فما ليل مظلوم كريم بنأم

وأما المنافس فهو طالب رتبة إن نال منها سداداً من عوز ياسر ، وإن ضويق
 فيها نافر ، فارخ له عنان الأمل ، واخفض جناح منافسته بالاستنابة والعمل ، لتدفعه
 بالمياسرة عن المنافسة ، وغالط به الايام فان الساعات تهدم الاعمار . وقد قيل في
 مشور الحكم : المرء بساعاته ؛ والدهر في مساعاته . ولا تجعل له فراغا يتشاغل فيه
 بمساءتك ، ويجعلك عذراً في السعي على منزلتك ، فان المضطر جسور . فان ساق
 القضاء اليه حذا كنت له مصطنعاً يرعى لك حقوق الاصطناع . فقد قيل : من
 علامة الاقبال اصطناع الرجال . وقال بعض الحكماء : اصطنع الخير عند امكانه ؛
 يقولك حمده بعد زوال ايامه ؛ واحسن والدولة لك يحسن اليك والدولة عليك ،
 واجعل زمان رخائك عدة لزمان بلائك . وان صده القضاء عن ارادته وحجزه
 القدر عن طلبته ، كفيت ماخفته وقد أحسنت . ووصلت الى ما اردته ، وقد أجمت .
 فقد قيل في مشور الحكم : الحوائج تطلب بالعناء ، وتدرك بالقضاء ، ثم قد أوجبت
 باحسانك شكراً ؛ واقمت باجمامك عذراً ؛ اجتذبت بهما قياد منافسك الى طاعتك ،
 وصرفته بهما عن التعرض لمنافستك ، فسيجعلك قبلة رجائه إذ لم يحظ بخير
 الا منك ، ولم يقض من زمانه وطرا الا بك . وقد قيل في مشور الحكم : من
 استصلح الاضداد بلغ المراد . وقد قيل في مشور الحكم : قيل لبعض الحكماء ما النبل ؟
 قال مؤاخاة الاكفاء ، ومداهنة الأعداء . وربما تعرض لعداوتك من قصر عن
 رتبة منافستك ؛ فاعطه من رجائه طرفاً ، واقبض من زمانه طرفاً ، واختبرهما فيه
 فستقف به الغاية على صلاح أو فساد ، فان صلح سوعد ، وان فسد توعد وقد

قال ازديشير بن بابك: احذروا صولة الكريم اذا جاع؛ واللئيم اذا شبع. وقد قيل
 في منشور الحكم: علة المعادة قلة المبالاة. وقال سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام
 لابنه: لا تستكثر أن يكون لك الف صديق فالالف قليل، ولا تستقل أن يكون
 لك عدو واحد فالواحد كثير. والسلامة من الزمان واهله من كذب الاماني، فاقبل
 ولا تستكثر؛ فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «لوم يصب ابن آدم
 من الدنيا الا الا من والسلامة لكفيهما داء قاتلا». وقيل في منشور الحكم: الناس
 عون على الصبر. وقال ابراهيم بن المهدي:

وللنفوس وان كانت على وجل من المنية آمال تقويها
 فالمرء يبسطها والدهر يقبضها والنفس تنشرها والموت يطويها
 والقسم الرابع: في الدفاع عن الرعية من خوف واختلال من نتائج الاهمال،
 وكلاهما من سوء السيرة وفساد السياسة لتردهما بين تفريط وافراط،
 وخروجهما عن العدل إلى تقصير أو اسراف؛ وهم قوام الملك المستمد وذخيرة
 المستعد ان أهملوا فسدوا وأفسدوا، وان حيف عليهم هلكوا وأهلكوا، فلن
 يستقيم ملك فسدت فيه أحوال الرعايا، لأنه منهم بمنزلة الرأس من الجسد
 لا ينض إلا بقوته ولا يستقل إلا بمعونته، و عليك لهم ثلاثة حقوق: أحدها
 أن تعينهم على صلاح معاشهم، ووفور مكاسبهم، لتتوفر بهم موادك وتعمر
 بهم بلادك. وقد روي عطاء عن جابر عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال:
 «خير الناس أنفعهم للناس». وقال وهب بن منبه: ان أحسن الناس عيشا من
 حسن عيش الناس في عيشه: والثاني أن تقتصر منهم على حقوقك وتحملهم
 فيها على انصافك، ليكونوا على الاستكثار أحرص وفي الطاعة أخلص، وقد
 قيل: من خاف اساءتك اعتقد مساءتك. ولا تكلمهم في مقادير الحقوق إلى غيرك
 فيكونوا له أرجأ وعليه أحنأ. فقد قيل في سالف الحكم: انما يستخرج ما عند
 الرعية ولا تها، وما عند الجند قادتها، وما في الدين والتأويل علماءه: والثالث أن

تحوطهم بكف الاذى ومنع الايدي الغالبة منهم، لتكون لهم كالأب الرؤوف
ويكونوا لك كالاولاد البررة؛ فانك كافل مسترعى ومسئول مؤاخذ، وقد
قال النبي صلى الله عليه وسلم: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته». فله عليك
فيهم حق، وللسلطان عليك فيهم تبعة، فاغتنم بهم شكر احسانك، وجمال بهم
آثار سلطانتك، فان الدنيا ظل الغمام وحلم النيام، وقد قيل: من الدنيا على الدنيا
دليل. وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «كن في الدنيا كأنك غريب
أو عابر سبيل». وقيل في منشور الحكم: عود الحياة في كل يوم يعتصر، وقال
بعض الحكماء: كل يوم يسوق إلى غده، وكل امرئ مأخوذ بجناية لسانه
ويده، فاغتنم غفلة الزمان، واتهز فرصة الامكان، وخذ من نفسك لنفسك،
ونزود من يومك لغدك. وكتب حكيم الروم إلى الاسكندر: لا تكلم على
الدنيا فانك قليل البقاء فيها. ومن أحكم ما قيل في هذا المعنى قول الشاعر:

همومك بالعيش مقرونة فما تقطع العيش إلا بهم
وحلوة دنياك مسمومة فما تأكل الشهد إلا بسم
إذا تم أمر بدا نقصه توقع زوالا إذا قيل تم

ولما تاب الله تعالى على سليمان بن داود عليهما الصلاة والسلام، ورد عليه
ملكة كتب على كرسيه: اذا صحت العافية نزل البلاء، واذا تمت السلامة نجم
العطب، واذا تم الا من علا الخوف

فصل

(الاقدام)

(من مزايا الوزير وصفاته)

فاما الفصل الثالث وهو الاقدام. فهو في السياسة أو في شرطها، وفي الوزارة
اكفى نظريها، بظفر الاقدام وخيبة الاحجام. وقد قيل في منشور الحكم: بالاقدام
ترتفع الاقدام؛ وانما يجب الاقدام اذا ظهرت أسبابه من فرصة تنتهزها أو

قوة تجدها ، وقصدت أبوابه في إبانه وعند امكانه ، كما قال الشاعر:

إذا ما أتيت الأمر من غير بابه ضللت وإن تقصد إلى الباب تهتدي

ثم تجمع بينهما بين حزمك وعزمك ، فالحزم تدبير الأمور بموجب الرأي ؛ والعزم تنفيذها للوقت المقدر لها ؛ فإذا تكاملت شروط الاقدام من هذه الوجوه الاربعة ، لم يمنع من الظفر الاعوائق القدر . وقد قيل في قديم الحكم : إذا طلب اثنان حظا ظفر به أفضلهما دينا ، فإن استويا في الدين ظفر به أفضلهما مروءة ، فإن استويا في المروءة ظفر به أكثرهما أعوانا ، فإن استويا في الاعوان ظفر به أسعدهما جدا ، فإن اتلم من شروط الاقدام أحدها صار الاقدام تغربرا يمنع من حزم ذي اللب ، ويصد عن الظفر ما لم يغلب قدر ، فما الاقدار بقياس معتبر . وقد قال حكيم الهند : السبب الذي يدرك به العاجز حاجته ، هو الذي يحول بين الحازم وطلبته ، وقيل لبزر جهمر ما أعجب الاشياء ؟ قال : نجاح الجاهل وإكداء العاقل . ودخل رجل على عبدالله بن طاهر فقال له : أيها الامير ما الذي لا يحتاج فيه إلى عزم ولا حزم ؟ فاستمعه في جوابه ثلاثة أيام . فماد اليه بعدها وسأله . فقال له : الدولة . فقال : صدقت وما أخرج هذه الكلمة منك إلا الدولة ، ولذلك قيل في منشور الحكم الحظ يأتي من لا يأتيه .

والاقدام ينقسم قسمين : احدهما الاقدام على اجتلاب المنافع . والثاني الاقدام على دفع المضار .

فاما الاقدام على اجتلاب المنافع ، فضر بان احدهما . استضافة ملك . والثاني استزادة مواد ، فاما استضافة الملك ، فيكون بالحزم والعزم ، إذا اقتربنا برغبة ورهبة ، ولأن تكون بالاغتيال والاحتيال ، أولى من أن تكون بالقتال ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « الحرب خدعة » . وقيل في أمثال الحكم : أربعة لا يركبها إلا أهوج ، ولا يسلم منها إلا القليل . مناجزة الحرب ،

وركوب البحر ، وشرب السم للتجربة ، وائتمان النساء على السر . وأما استزادة المواد فيكون بالعدل والاحسان ، إذا اقترنا برفق ومياسرة ، لتكثر بهما العمارة ، وتتوفر بهما الزراعة ، فإن الارض كنوز الملك ، يستخرجها أعوان متطوعون ، يقنعهم الكف عنهم ، ويقطعهم العسف بهم ، وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : « التمسوا الرزق في خبايا الارض » . يعنى الزرع ولأن تستمد فرعا داراً يعم خبره ؛ أولى من أن تحت أصلاً منقطعاً يعم ضرره ، فلا نفاذ لدار ، ولا لبث لمنقطع ، وما يفسده إلا المبادرة قبل أوانه ، والعجلة قبل زمانه ، وقد قيل في أمثال الحكم : الحظوظ مراتب ، فلا تعجل على ثمرة لم تدرك ، فانك تناولها في أوانها عذبة ، والمدبر لك أعلم بالوقت الذي تصلح فيه ، فتق بخبرته لك ، ولا تحمل حوائج عمرك كله على يومك ، الذي أنت فيه ؛ فيضيق عليك ويشغلك القنوط عن تديريك ، فليحذر العجلة ، فيراه الناس مسيئاً ؛ وقد قيل لبعض الحكماء : من شر الناس ؟ فقال : من لا يبالي أن يراه الناس مسيئاً .

وأما الإقدام على دفع المضار ، فضربان : دفع ما اختل من الملك وله سببان : نفور وجور ، فادفع ضرر كل واحد منهما بالضد من سببه ، فإن علاج كل داء بضده من الدواء ، فإن كان اختلال الملك من الإهمال ايقظت له عزمك وان كان ذلك من العجز ، استعملت فيه حزمك ، وان كان نقص المواد من النفور ، استحدثت فيه رهبتك ، وان كان من الجور ، أظهرت فيه معدلتك ، فإن كان حدوث ذلك في الملك صادراً عنك ، كنت مؤاخذاً بتفريطك في الابتداء ، ومستدركا لتقصيرك في الانتباه ، فحبرت اساءتك باحسانك ، ومحوت قبيحك بحمليك ، وان كان حدوثه من غيرك ، كانت جريرة الاساءة عليه ، وكان حمد الاحسان لك ، وبان بك سوء أثره ، وبان به جميل أثرك . وقد روى عطاء بن السائب عن أبيه عن ابن عمر عن النبي

صلى الله عليه وسلم إنه قال: «الخير كثير، وقليل فاعله». فقال بعض الحكماء
خير من الخير فاعله، وشر من الشر فاعله

فصل

(في الحذر)

وأما الفصل الرابع: وهو الحذر فإن الدهر ثائر بطوارقه، ومنافر بنوائبه،
يغدران وفي، ويقتلان هفاً. ولذلك قيل في منشور الحكم: الدنيا مرتجعة
الهبة، والدهر حسود لا يأتي على شيء إلا غيره. وقال عبد الحميد: أصاب
الدنيا من حذرها، وأصابت الدنيا من أمنها. وقال عبد الملك بن مروان:
احذروا الجديدين، فللاقدار أوقات تغضى عنها الابصار، فإذا صادفت
طوارقه غراً مسرسلًا، صار هدفاً لسهامها الصوائب، وغرضاً لمنافرة
الحوادث والنوائب. وقد قال بعض الحكماء: من أعرض عن الحذر
والاحتراس، وبني أمره على غير أساس، زال عنه العز، واستولى عليه العجز
وان قدم لطوارقه حذر المتيقظ، وتلقاها بعدة المتحفظ، رد بادرته بعزم
ذى حزم؛ قد حلب أشطر دهره، وقام بواضح عنده. وقد قال بعض الشعراء:

ان للدهر صولة فاحذرنها لا تبتين قد أمنت الدهورا

ثم هو بعد حذره مستسلم لقضاء لا يرد، وقدر لا يصد. وقد روى
أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «احذروا الدنيا فإنها أسحر
من هاروت وماروت». وقيل لبعض الحكماء: من السعيد؟ قال: من اعتبر
بأمسه واستظهر لنفسه. وقال بعض الشعراء:

وحذرت من أمر فمر بجانبى لم يبكنى ولقيت ما لم أحذر
وللحذر حد يقف عنده، ان زاد عليه صار خوراً، كما ان للاقدام
حداً، ان زاد عليه صار تهوراً، والزيادة على الحدود نقص في المحدود،

ولها زمان ان خرجا عنه صار الحذر فشلا ؛ والاقدام خرقا ، و عارها
معتبر بحزم العاقل ، و يقظة الفطن . وقد قيل في منشور الحكم : أيدي
العقول تمسك أئنة الأ نفس . وقال بعض الحكماء : ليعرفك السلطان عند
افتتاح التدبير بالحذر ، وعند وقوع الأمر بالجد . والحذر يلزم من أربعة
أوجه : أحدها الحذر من الله تعالى فيما فرض ، والثاني الحذر من السلطان
فيما فوض ، والثالث الحذر من الزمان فيما اعترض ، والرابع الحذر من
غلبة الأعداء ومكر الدهاة .

فاما الحذر من الله تعالى ، فهو عماد الدين الباعث على الطاعة .
والحذر منه ؛ هو الوقوف على أوامره ، والانتفاء عن زواجره ،
فيعمل بطاعته فيما أمر ، وينتهي عن معصيته فيما حظر ، فلن ترى قليل الحذر
إلا متجاوزاً في دينه ، طامحاً في غلوائه ، لا يرى رشداً في العاجل ، وهو على
وعيد في الآجل ، مع نفور النفس منه ، وسراية الذم فيه . وقد قيل في بعض
الصحف الأولى : العزة والقوة يعظمان القلب ، وأفضل منهما خوف الله
تعالى ، لأن من لم تردعه خشية الله ، لم يخف الوضيعة ، ولم يحتاج إلى ناصر .
وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه : من حاول أمراً بمعصية الله كان أبعد
لما رجا ، وأقرب لمحى ما اتقى . وقال بعض الحكماء : خير الاخلاق أعونها
على الورع . وقال بعض السلف : انما لك من دنياك ما أصلحت به مشواك .
وقال البحري :

يا جامعاً مانعاً والدهر برمقه مفكراً أي باب فيه يطرقة

جمعت مالا ففكر هل جمعت له يا جامع المال أياماً تفرقه

وأما الحذر من السلطان ، فهو وثاب بقدرته ، متحكماً بسطوته ، يميل به
الهوى فيقطع بالظن ، ويؤخذ بالارتياح ، فالثقة به عجز ، والاسترسال معه
خطر . وقد قيل : ثلاثة لا أمان لهم ؛ السلطان والبحر والزمان . وقيل : إذا
تغير السلطان تغير الزمان ، والحذر منه في حالتى السخط والرضا أسلم لأنه

يستندب إذا مل ، حتى يصبر المحسن عنده كالمسيء ، فاستخلص رأيه بالنصح
 واستدفع تنكره بالحدز . وقد قال بعض الحكماء : اصحب السلطان بثلاث الحدز
 ورفض الدولة ، والاجتهاد في النصح ، وحدرك منه يكون بثلاثة أمور :
 أحدها : أن لا تعول على الثقة في ادلال واسترسال ، فما جرت الثقة إلا
 ندما كما قال الشاعر :

ما زلت اسمع كم من واثق خجل حتى ابتليت فصرت الواثق الخجلا
 وقد قيل : الخرق الدلالة على السلطان ، والوثبة قبل الامكان . فاقبض
 تنفسك إذا قدمك ، وتواضع له اذا عظمتك ، واحتشمه إذا آنسك ، ولن له
 إذا خاشتك ، واصبر على تجنيه إذا غالظك . فهو على التجنى أقدر ، فكن على
 احتماله أصبر ، فرما كانت مجاملته لك مكرأ ، وتجنیه عليك عذرا ، فقد قيل في
 بعض الصحف الاولى : حب الملك وهواه يشبه الطل الذي ينزل على
 العشب . وقد قالت حكيماء الهند : مثل السلطان في قلة وفائه للاصحاب ،
 وسخاء نفسه عنهم مثل البغي ، والمكتب ، كلما ذهب واحد جاء آخر .
 والعرب تقول : السلطان ذو عدوان وبدوان ، فلا تجعل له في اظهار تنكره
 عليك عذرا ، فرما اعترف بالحق فوفى ، ورق بالصبر فكف ، ولذلك قيل
 في أمثال كليلة ودمنة : صاحب السلطان كراكب الاسد يخافه الناس ؛ وهو
 المر كوبه أشد خوفا . وقد روى مصعب بن منصور عن عقبة بن عامر عن
 النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال : «السعيد من وعظ بغيره» . وقال شاعره
 حسان بن ثابت .

ولا تأمن الدهر الفتون فانتى برأى الذي لا يأمن الدهر مقتدي
 والثاني : في حدرك منه ؛ أن تساعد على مطالبه ، وتوافق على محابه
 ومشاركه ؛ ولا تصده عن غرض ، إذا لم يقده في دين ولا عرض ،
 ولا تتوقف عن اجابته ، وان شغلك ما هو أهم ، فما يقيم لك عذرا اذا وجدك

في أغراضه مقصرا ، وان كنت على مصالح ملكه متوفرا ؛ فانه اتخذك
 لنفسه ثم لملكه ؛ وقد يقدم حظ نفسه على مصلحة ملكه ؛ لغلبة الهوى ؛
 ونازع الشهوة ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « حبك الشيء يعنى
 ويصم » أي يعنى عن الرشد ، ويصم عن الموعدة . فكن متوفرا على مراده ؛
 ليسلم اعتقاده لك ، فان قدحت أغراضه في دين أو عرض ، سللت نفسك
 من وزرها ، وتحفظت من شينها ، بالتلطف في عفة عنها بما يعترضه بدلا
 منها . ليسهل عليه اقلاعه عنها ؛ فان ساعدك عليه ، سلم دينكما ؛ وزال شينكما .
 وقد روى أبو حازم عن سهل بن سعد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
 « لله خزائن للخير والشر مفاتيحها الرجال ؛ فطوبى لمن جعله مفتاحا للخير
 مغلاقا للشر . وويل لمن جعله مفتاحا للشر مغلاقا للخير . » وقال بعض الشعراء :

ستلقى الذي تدمت للخير محضرا وأنت بما تأتي من الخير أسعد

وان أصر عليها لنت في متاركته ، وأحجمت عن مساعدته ، وهو خداع
 يتداس بالمغالطة ، ويخفي بالحزم ، فاستنجد فيه عقلك ، واستعمل فيه حزمك ؛
 لتسلم من تنكره ؛ وتخلص من وزره . فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم . أنه
 قال : « ان من شرار الناس عند الله يوم القيامة عبد أذهب آخرته بدنيا غيره . »
 والثالث : في حذرك منه أن تذب عن نفسه وملكه بما استطعت
 من مال ونفس ، فانك عن نفسك تذب ولها ترب ، لأنه لا يصلح حالك ؛
 مع فساد حاله ، وأنت فرع من أصله ؛ وهو يسترسل لثقتك بك ، ويستسلم
 لتعويله عليك ، فقابل ثقته بأمانتك ، واستسلامه بكفايتك ، ولا تلجئه أن
 يياشر دفع الخوف والحذر ، فيلجئك إلى ما هو أخوف وأحذر ؛ لأنك
 تخافه وتخاف ما يخافه ؛ فيتوالى عليك خوفان ويتمالأ عليك خطران .
 وقال الشاعر :

ان البلاء يطاق غير مضاعف فاذا تضاعف صار غير مطاق

فادفع خوفك منه بدفاعك عنه ، تكن من الخوفين آمناً ؛ ومن الخطرين سالماً . وقد قال عاصم بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما :

كأنك لم تنصب ولم تلق شدة إذا أنت أدركت الذي كنت تطلب
واعلم ان لسلطانك عليك حقوقاً لك عليه مثلها ؛ فحقوقه عليك ثلاثة :
أحدها قيامك بمصالح ملكه . وهى أربع : عمارة بلاده ؛ وتقويم أجناده ؛
و تمييز مواده ؛ و حياطة رعيته . والثانى من حقوقه عليك قيامك بمصالح
نفسه ، وهى أربع : ادراك كفايته ؛ وتحمل عوارضه ؛ وتهذيب حاشيته ؛
واستعداد ما يدفع به النوائب . والثالث من حقوقه عليك ، قيامك بمقاومة
أعدائه ، وذلك بأربعة أشياء : تحصين الثغور ، واستكمال العدة ، وترتيب
العساكر ، وتقدير الحدود ، فأد حقوق سلطانه ، ووف شروط ائتمانه ،
واحذر بادرة مؤاخذته ان قصرت ، و سطوة انتقامه ان فرطت ، فقد قيل
فى منشور الحكم : من فعل ما شاء ، لقي ما لم يشأ . وقال بعض البلغاء : من أوقع
بقبح المعاملة أوجع بقبح المقابلة . واعلم ان بادرة الانتقام ، أسرع من ظهور
الانعام ، لان الانتقام يصدر عن طيش الغضب ؛ والانعام يصدر عن إنابة
الكرم ، فربما هجم الانتقام قبل الحذر ان تم على مداومة الحذر . ولذلك قال
أبو زيد الطائى :

والخير لا يأتىك مجتمعاً والشر يسبق سيئه مطره

وقد قيل فى حكم الفرس : ما أضعف طمع صاحب السلطان فى السلامة .
وذلك انه ان عف جنى عليه العفاف عداوة الخاصة ، وان بسط يده جنى
عليه البسط السنة المنتصحين ، فلزمك بذلك أن يكون حذرک أغلب من
رجائك ، وخوفك أكثر من أمنك ، ولئن تكدر بهما العيش فهما إلى
السلامة أدعى . وقد قال بعض الحكماء : بالصبر على ما تكره تنال ما تحب ؛
و بالصبر على ما تحب تنجو مما تكره .

فاما ما يقابلها من حقوقك على سلطانه فتلاثة . أحدها : معونتك على نظرك ؛ وذلك بأربعة أشياء : تقوية يدك ؛ وتنفيذ أمرك ، وإطلاق كفايتك ، وان لا يجعل لغيرك عليك أمراً . وقد قال سابور بن ازدشير في عهده الى ابنه هرمز : ينبغي للوزير أن يكون قوي الأمر ؛ مقبول القول ؛ يمنعه مكانه منك من الضراعة لغيرك ، وتبعه الثقة بك على بذل النصيحة لك ، ويشجعه ما يعرف من رأيك على مقاومة أعدائك ، وأحذرك أن تنزل بهذه المنزلة من سواه من خدمك [و الثاني من حقوقك عليه : أن تثق منه بأربعة أشياء . أن لا يؤاخذك بغير ذنب ؛ ولا يطمع في مالك من غير خيانة ؛ وأن لا يقدم عليك من دونك ، ولا يمكن منك عدواً .] عهد ملك إلى ابنه فقال : انك لن تصل إلى إحكام ما تريده من تدبير ملكك إلا بمعونة وزرائك وأعوانك ؛ فأعنه على طاعتك بمباشرتك ؛ وعلى معونتك بمساعدتك . والثالث من حقوقك عليه : أن يحفظك في منزلتك في أربعة أشياء : أن لا يرتاب بباطنك و ظاهره سليم ؛ فيؤاخذك بالظن و يعجز عن دفعه باليقين ، فليس يؤاخذ بضمائر القلوب إلا علام الغيوب . قيل لكسرى بن قباد : إن قوماً من خواصك قد فسدت سرائرهم . فوقع : أنا أملك الاجساد دون النيات ، وأحكم بالعدل لا بالرضى ، وأحفص عن الاعمال لا عن السرائر . والثاني أن لا يستبدل بك ونظرك مستقيم ، فتقل ثقتك ويضعف نشاطك ، ولا تجد من نفسك نهوضاً بما كلفك ؛ فان دواعي الطبع أبلغ من مصنوع التكلف ؛ وقد اتخذك لاستقامة وجدها بك ، فاذا أضاع حقلك بالاستبدال ظلم نفسه وكان من غيرك على خطر . وقد قال كسرى : الوزارة أبعده الأمور من أن تحتل غير أهلها ، لأن الوزير من الملك بمنزلة سمعه وبصره ولسانه وقلبه ، لأنه مغلق الابواب مستور عن الأبصار . ليحفظه في أمواله ، ويستتر خله في أفعاله ، وحقيق بمن كان بهذه المنزلة أن يكون محفوظاً ومدحوظاً . والثالث

أن لا يؤخذك بدرك ما جره القضاء وساقه القدر؛ فيجعلك غرضاً في معارضة خالقه ، وهل أنت فيه إلا كمثلته فكيف تكون أفعال الله ذنوباً لعباده . وقد قال بعض الحكماء : الأمور تطلب بالعناء وتدرك بالقضاء . ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا أراد الله تعالى انفاذ قضائه وقدره سلب ذوى العقول عقولهم حتى ينفذ فيهم قضاؤه وقدره » . والرابع : ان لا يحملك ما ليس في قدرتك ؛ ولا يكلفك ما ليس في طاقتك ؛ فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها ، وما ذلك إلا من دواعي التجنى ومبادئ التنكر . قال حكيم الروم : أول ما يبتديء تغيير الملك في العين ، فاذا ازداد خرج إلى اللسان ، فاذا ازداد خرج إلى اليد . فقد وضح بهذه الجملة مقابلة حقوقك عليه بحقوقه عليك . وقد قال المعتصم : من طلب الحق بما عليه أدركه ، غير أن حقوقك عليه موضوعة على المؤاخنة بأقلها ، لاستطالته عليك بالقدرة وقصورك عنه بالنيابة ؛ فكن على ما اقتضاه مناب الوزارة ، واعطه ما استحقه بساطان الملك ، فينجح سعيك له إكداء سعيه عليك . وقد وصف موبدان موبذ في كتاب الملوك فقال : هم ، أعينهم المصونة عندهم ؛ وآذانهم الواعية ؛ وألسنتهم الشاهدة ، لأنه ليس أحد أسعد من وزراء الملوك إذا سعدت الملوك ، ولا أقرب إلى الهلكة من وزراء الملوك إذا هلكت الملوك ، فترفع التهمة عن الوزراء إذا صارت نصائحهم للملوك نصائحهم لأنفسهم ؛ ويعظم اليقين بهم حين صار اجتهادهم للملوك اجتهادهم لأنفسهم ، فلا تنهم روح على جسد ولا يتهم جسد على روح ، لأن زوال إلفهما زوال نعمتهما ، والتسام إلفهما صلاح صاحبهما . وأما حذرک من الزمان : فانه يتقلب بألوانه ، ويخشن بعد ليانه ، فيسلب ما أعطى ، ويفرق ما جمع . وقد روى أبو حازم عن أبي بكر رضى الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « انظروا دور من تسكنون ، وأرض من تزرعون ، وفي طرق من تمشون » . وقال بعض الحكماء : الدنيا

ان بقيت لك لم تبق لها . وقيل في منشور الحكم : من عتب على الزمان طالت
معتبه ، ومن لم يتعرض للنوائب تعرضت له . وقال بعض البلغاء : ان الدنيا
تقبل اقبال الطالب ؛ وتدبر ادبار الهارب ؛ لا تبقى على حالة ولا تخلو من
استحالة ؛ تصلح جانبا بافساد جانب ؛ وتسر صاحباً بمساءة صاحب ؛ فالكون
فيها خطر ، والثقة بها غرر . وقد قال قيس بن الخطيم :

ومن عادة الايام أن صروفها إذا سر منها جانب ساء جانب
وحذر من زمانك يكون من أربعة أوجه :

أحدها : أن لا تثق بمساعدته ، ولا تركز إلى مياسترته ، فتغفل عن الحذر
والاستعداد ، فرما انعكس فاقترس ، وخافض فاختلس . وقد قيل : للدهر
صروف ، لست عنها بمصروف . قال أبو العتاهية :

ان الزمان وان ألا ن لأهله لمخاشن
نخطوبه المتحركا ت كأنهن سواكن

والوجه الثاني : أن تنتهز فرصة مكنتك ، بفعل الجميل وغرس الصنائع ،
واسداء العوارف . ليكونوا لك ذخراً في النوائب ، وخلفاً في العواقب ،
ولا يلهيك استكفاؤك عن الاستظهار ، ولا يمنعك استغنائك عن الاستكثار .
فقد قيل : المرء ابن يومه ، فليتنبه من يومه . وروى عن النبي صلى الله عليه
وسلم انه قال : « اغتتم خمساً قبل خمس . شبابك قبل هرمك ، وصحتك قبل
سقمك ، وغناك قبل عدملك ، وفراغك قبل شغلك ، وحياتك قبل موتك » .
وقال سعيد بن سلم :

إنما الدنيا هبة وعوار مسترده
شدة بعد رخاء ورخاء بعد شدة

والوجه الثالث : أن تكف نفسك عن القبيح ؛ وتقبض يدك عن
الاساءة ؛ لتكفي رصد الترات ، وغوائل الهفوات ، فتأمن من وجلك ؛ وتسلم

من ذلك . ولا تتناول بالقدرة ، فتغفل وأنت مطلوب ، وتأمين وأنت مسلوب . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اتبع السيئة الحسنة تمحها » . وقيل في بعض الصحف الاولى : ويل للأئمة لأن الشقاء لازم لهم إلى يوم وفاتهم ، والأب الأثيم يلغنه بنوه إذا كانوا صالحين ، لأنهم يعيرون به . وقال بعض الحكماء : باعتزالك الشر يعتزلك ، وبالصفة يكثر الواصلون . وقال مضر بن ربيعي : وهو من الأمثال السائرة :

الخير أبقى وإن طال الزمان به والشر أخبث ما أوعيت من زاد

والوجه الرابع : ان تستعد لآخرتك ، وتستظهر لمعادك ، ولا تغتر بالأمل فيجئك الفوت ، ولا تلهك الدنيا فتصدك عن الآخرة ، فقل من لا يسها فسلم من تبعائها لهفوات غرورها ، وعواقب شرورها . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « يا عجبا كل العجب للمصدق بدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور » . وقيل في منشور الحكم : طلاق الدنيا مهر الجنة ، فكفر معاصيها بالتوبة ، واجبر مساويها بالطاعة ، ولا تضع حظك فيها ، ولا تنس نصيبك منها ، واحسن كما احسن الله اليك . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « الناس غادبان ، فغاد نفسه فمعتقها ، وموثق نفسه فهو بقها » . روى ابو موسى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « على كل مسلم صدقة . قالوا : فان لم يجد . قال : يعين ذا الحاجة الملهوف . قالوا : فان لم يفعل . قال : يأمر بالمعروف وينه عن المنكر . قالوا : فان لم يفعل . قال : يمسك عن الشر فانها صدقة »

واما الحذر من أهل الزمان : فلأن الأئسان محسود بالنعمة ، مغبوط

بالسلامة ، والناس على اربعة اطوار متباينة

احدها : خير عاقل يسالم بخيره ويساعد بعقله ، فالظفر به سعادة والاستعانة به توفيق ؛ فاجتهد ان لا يفوتك - وإن كان قليل الوجود -

لتحظى بخيره وتسعد بعقله . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « استرشدوا العاقل ثرشدوا ، ولا تعصوه فتندموا » . وقال بعض الحكماء : من خير الاختيار صحبة الاخيار ، ومن شر الاختيار صحبة الاشرار ، وقل ان يكون العاقل الخير إلا متحليا بالعلم مترينا بالأدب . وقد قال بعض الحكماء : لأدب الا بعقل ، ولا عقل إلا بأدب ، ومثلهما كمثل الروح والجسد فالجسد بغير روح صورة ، والروح بغير جسد ريح ، فاذا اجتمعا قويا فنهضا وانهضا ، فاذا أظفرك الزمان بمن تكاملت فضائله ، ونهدبت خصائله ، فاتخذة ذخيرة نوائبك ، وعدة شدائدك ، تجده كفيل صلاحها وزعيم نجاحها . قال الحواريون لعيسى بن مريم عليه السلام : من نجالس ؟ قال : من يزيد في علمكم منطقته ، ويذكركم الله رؤيته ، ويرغبكم في الآخرة عمله . والطور الثاني . شرير جاهل يضر بشره ويضل بجهله ، فاحذر مخالطته فهي اعم من السم ، وانفذ من السهم . فشره بجهله منتشر يضعف ان تورك ، ويقوى ان شورك ؛ فاكفف شره بالابعاد ، ولا تقره بالتقريب ، فيلحقك بضرري شره وجهله . وقد قيل في منشور الحكم : من الجهل صحبة ذوى الجهل . وقيل في بعض اسفار بنى اسرائيل : ابعد عن الجاهل لتجد الراحة ، فان حمل الرمل والملح والحديد اسهل من المشوى مع الرجل الجاهل ؛ وضرر الجهل اعم من ضرر الشر ؛ لأن قانون الشر معلوم ؛ وقانون الجهل غير معلوم . وقد قيل : الجاهل مفرط أو مفرط

والطور الثالث : خير جاهل يسالم بخيره ويضل بجهله ، فقارنه ان شئت لخيره ولا تستعمله لجهله . لتكربن بخيره موسوما ، ومن جهله سليما . فقد قال عبد الحميد : لكل شيء لباب ولباب النفوس الألباب

والطور الرابع : شرير عاقل وهو الداھية المكر ، يستعمل في الخطوب اذا حزبت على حذر من مكره ، ويتارك في الدعة على استدفاع شره . وقد

روى عاصم عن زر عن عبد الله بن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال: «ان الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر». ومثل هذا يستكفي بمؤنة تمده؛ ومراعاة ترضيه، فانه كالسبع الضاري ان اجعته هاج؛ وإن أشبعته لان، ليكون مذخورا للحاجة. فان للزمان خطوبا لاتدفع الا بشرار اهله. كما قال حذيفة بن اليمان لرجل: أيسرك ان تغلب شر الناس؟ قال: نعم! قال: انك لن تغلبه حتى تكون شرا منه. فتعده لخطوب الشر اذا طرقت. فانه بها اخبر؛ وعلى دفعها أقدر؛ ولأهلها اقهر؛ فان الحديد بالحديد يفلح. ويستكف الى جنبها بما يدفع بادية شره؛ ويقطع غائلة مكره؛ وان كانت ضراوة الشر أجذب، فطباع النفوس اغلب. وقد قال بعض الحكماء: مخالطة الاشرار خطر، والصبر على صحبتهم كركوب البحر الذي من سلم ييدنه من التلف فيه، لم يسلم بقلبه من الحذر منه. فان وجدت من هذا الداهية فتورا في همته، وقصورا في مته؛ كانت سراية مكره انزر؛ وتأثيره في الخطوب ايسر. وان كان على الهمة قوي المنة يتناول الى معالي الامور، كانت سراية مكره أوفر، وتأثيره في الخطوب اكثر. فاعطه في كل حال من أمره من الحذر والسكون؛ بحسب ما تقتضيه همته وتبعث عليه منته، ليكون قانونك مستقيما؛ ومن دهاء مكره سليما؛ لا ينالك خور من سرف، ولا استرسال من تقصير، قد جعل الله لكل شيء قدرا. فهذا تفصيل ما اشتمل عليه العقد والحل والله أعلم

فصل

(التقليد والعزل)

واما تفصيل ما اشتمل عليه التقليد والعزل؛ وهو الشطر الثاني. فالتقليد على ضربين: تقليد تقرير؛ وتقليد تدبير. فاما تقليد التقرير فهو فيما يستأنف

انشاء قواعده ، و يبتديء تقرير رسومه ، وهو على ثلاثة اقسام
احدها : أن يكون في خاص يقدر الوزير على مباشرته ، فالوزير اخص
بتقريره و احق بتنفيذه . لأنها اصول مؤبده من خواص نظره ، فان قلد
عليها و استتاب فيها كان تقصيرا منه فيما جل ، و معذورا فيه ان قل . ولم
يكن لمن قلده تنفيذ تقريره الا عن اذنه ، و إلا كان عزلا خفيا . لأنه يصير
ملتزما و قد كان ملزما ، و محكما و قد كان حاكما

و القسم الثاني : ان يكون التقليد فيما بعد عنه و يمكن استيثاره فيه ،
فيجوز أن يستنيب في تقريره و يكون موقوفا على امضاء الوزير و تنفيذه .
ولا يجمع المستتاب بين الأمرين ليكون التقليد مقصورا على التقرير
و التنفيذ ؛ كان فيه متجوزا إلا أن يؤمر به فيصير الأمر متجوزا إلا عن
اضطرار يزول معه حكم الاختيار

و القسم الثالث : ان يكون التقليد فيما بعد عنه و يتعذر استيثاره فيه ،
فيجوز ان يستنيب فيه من يجمع بين تقريره و تنفيذه ، اذا تكاملت فيه ثلاثة
شروط : احدها الكفاية التي تنهض بما في التقرير . و الثاني : الهيبة التي يطاع
بها في التنفيذ . و الثالث : الامانة التي تكف عن الاسترشاء و الخيانة . بعد
تكامل الشروط المعتبرة في جميع الولايات و هي ثلاثة : العقل و الديانة
و المروءة . فلا فسحة في تقليد من اخل بأحدها لقصوره عن حقها و خروجه
من اهلها . و انما يختلف ماسواها باختلاف الولايات و إن كانت هذه
مستحقة في جميعها . و قد قال كسرى ابرويز : من اعتمد على كفاة السوء ؛ لم
يخل من رأى فاسد ، و ظن كاذب ، و وعد و غالب . و قد قال بعض الحكماء :
لا تستكفين مخدوعا عن عقله ؛ و المخدوع من بلغ به قدر لا يستحقه ، و أثيب
ثوابا لا يستوجبه

و اما تقليد التدبير : فهو النظر فيما استقرت رسومه و تمهدت قواعده .

وهو مشترك بين الوزير وبين الناظر فيه : لكن يختص الوزير بمراعاته ،
والناظر بمباشرته . وهو ضربان : احدهما تدير الاجناد ، والثاني تدير الاموال
فاما تدير الاجناد فلا يستغني الوزير عن تقليد سفير فيه ؛ وإن
كانوا يلاقونه ليحفظ بالسفير حشمة وزارته ؛ ولا يقف اغراض اجناده ؛
وقد انصان عن لغط كلامهم وجفوة طباعهم . والاعلب على تديرهم الرأي
والسياسة فيعتبر في المختار لهذا التقليد ستة شروط : احدها الهية التي تقودهم
الى طاعته ؛ لأنه يقوم بتدير ذوي سطوة فاحتاج معهم الى قوة الهية :
والثاني ان يكون من ذوي الرأي والسياسة ؛ ليقودهم برأيه الى الصواب
وتوقفهم سياسته على الاستقامة : والثالث ان يكون متوصلا الى استعطاق
القلوب واجتماع الكلمة ؛ ليسلوا من اختلاف او منافرة : والرابع ان
يكون بينه وبين الاجناد ، مناسبة في الطباع ومشاكلة في الاخلاق ،
يمتزجون بها في الموافقة ولا يختلفون فيها بالمباينة : والخامس ان يكون
سليم الباطن صحيح المعتقد ، لأنه يصير اخص بهم ويصيرون اطوع له :
والسادس ما اختلف باختلاف الحال ، فان كان في زمان السلم اعتبر فيه
الاناة والسكون ، وان كان في زمان الحرب اعتبر فيه الاقدام والسطوة ؛
ليكون مطبوعا على ما يضاهاى حال زمانه . فقد قيل : خير السجايا ما وافق
الحاجة . فاذا ظفر بمن استكملها - وبعيد أن يظفر به إلا ان يعان بالتوفيق -
وجب تقليده ؛ ولزمت مناصفته في الحقوق التي له وعليه ليديم ويستقيم .
وقد قيل في مثور الحكم : من قضيت واجبه أمنت جانبه . وقيل : اغن من
وليته عن الخيانة ، فليس يكفيك من لم تكفه
واما تدير الاموال : فالوزير يسان عن مباشرتها ؛ وانما يحفظ دخلها
بالهية والاستظهار ؛ ويضبط خرجها بالحاجة والاضطرار . وللتقليد على كل
واحد منهما شروط

فأما شروط التقليد على مباشرة دخلها؛ فخمسة شروط: أحدها أن يكون مطبوعاً على العدل، لينصف وينتصف: والثاني أن يكون متديناً بالأمانة؛ ليستوفي ويوفي: والثالث أن يكون كافياً، ليضبط بكفايته ولا يضيع بعجزه: والرابع أن يكون خبيراً بعمله؛ يعرف وجوه موارده وأسباب زيادته: والخامس أن يكون رفيقاً بمعاملته غير عسوف ولا أخرق. حكى ابن الإسكندر كتب إلى معلمه ليستشير في عمله. فكتب إليه: من كان له عيب فأحسن سياستهم فوله الجند، ومن كانت له ضيعة فأحسن تدبيرها فوله الخراج. ووصف عمر بن عبدالعزيز زياداً فقال: كان يجمع جمع الذرة، ويحنو حنو الأم البرة. وهذه أحسن سيرة لعامل، وألطف حالة لمعامل، يحظى به من ولاءه ويسعد به من ولى عليه. وبمثلها يعم الصلاح وتتم الاستقامة وأما شروط التقليد على مباشرة خرجها بعد الأمانة التي هي مشروطة في كل ولاية، فمعتبرة بأحوال الخرج. وينقسم ثلاثة أقسام: أحدها ما كان راتباً عن رسوم مستقرة كأرزاق الجيوش؛ فالتقليد عليه شرطان، معرفة مقاديرها، ومعرفة مستحقها: والقسم الثاني ما كان عارضاً عن أمور تقدمتها، والناظر مأموراً بها كالصلات وحوادث النفقات، فالتقليد عليه شرطان، وقوفها على الأوامر؛ ومعرفة أغراض الأمر: والقسم الثالث ما كان عارضاً فوض إلى رأي الناظر ووكّل إلى تقريره، كالمصالح والنفقات والتقليد عليه أو في شروطها، لو قوفها على اجتهاده وتقديره؛ فيحتاج مع الأمانة إلى ثلاثة شروط، أحدها معرفة وجوه الخرج حتى لا يصرف في غير حق، والثاني الاقتصاد فيه حتى لا يفضى إلى سرف ولا تقصير، والثالث استصلاح الأثمان والأجور في غير تحيف ولا غبن

فصل

(في العزل)

وأما العزل فضربان :

أحدهما : ما كان من غير سبب فهو خارج عن السياسة . لان للافعال والاقوال أسباباً إذا تجردت عنها كان الفعل عبثاً ، والكلام لغواً لا يقتضيه رأى حصيف ، ولا توجه سياسة لبيب . وقد قيل : العزل أحد الطلاقين . فكما أنه لا يحسن الطلاق لغير سبب كذلك لا يحسن العزل لغير سبب . وإذا لم يثق الناظر باستدامة نظره مع الاستقامة عدل عنها إلى النظر لنفسه ، فعاد الوهن على عمله وما يكون هذا العزل إلا عن فشل أو ملل . وقيل : ليس جزاء من سرك أن تسوءه . وقال بعض الحكماء : من حسن وداده قبح استفساده . والضرب الثاني : أن يكون العزل لسبب دعا اليه . وأسبابه تكون من ثمانية أوجه . أحدها أن يكون سببه خيانة ظهرت منه ، فالعزل من حقوق السياسة مع استرجاع الخيانة والمقابلة عليها بالزواج المقومة ؛ ولا يؤخذ فيها بالظنون والتهم . فقد قيل : من يخن يهن . والوجه الثاني أن يكون سببه عجزه وقصور كفايته ، فالعمل بالعجز مضاع . وقد قيل العجز نائم والحزم يقظان . وهو نقص في العاجز . وان لم يكن ذنباً فلا يجوز في السياسة إقراره على العمل الذي عجز عنه ، ثم روعى عجزه بعد عزله ، فان كان ثقل ما تقلده من العمل ، جاز أن يقلده ما هو أسهل . وان كان لقصور منته وضعف حزمه لم يكن أهلاً لتقليد ولا عمل . وقد روي عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه انه قال : لا تلزموا أنفسكم حق من لم يلزم نفسه حقكم . والوجه الثالث أن يكون سبب اختلال العمل من عسفه أو من خرقة ؛ فهذا العمل زائد على الكفاية وخارج عن السياسة ، والوزير المقلد فيه بين خيارين . إما أن يعزله بغيره

وإما أن يكفه عن عسفه وخرقه ان كف؛ ويجوز أن يكون مرصداً لتقليد ما تدعو السياسة فيه إلى العسوف لمن شاق ونافر. فقد قيل: لكل بناء اس ولكل تربة عرس. والوجه الرابع أن يكون سببه انتشار العمل به من لينه وقلة هيئته، فهذا السبب موهن للسياسة والوزير فيه بين خيارين. إما أن يعزله بمن هو أقوى وأهيب، وأما أن يضم إليه من تتكامل به القوة والهيبة، وخياره فيه معتبر بالأصلح. ويجوز أن يقلد بعد صرفه ما لا يستتضر فيه بضعفه. وقد قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: لا خير في معين ميين ولا في صديق ضئيل. والوجه الخامس أن يكون سببه فضل كفايته وظهور الحاجة إليه فيما هو أكثر من عمله، فهذا أجمل وجوه العزل وليس بعزل في الحقيقة، وإنما هو نقل من عمل إلى عمل هو أجل منه، فصار بهذا العزل زائد الرتبة. وقد قال بعض البلغاء: الناس في العمل رجلان؛ رجل يحل به العمل لفضله ورياسته. ورجل يحل بالعمل لنقصه ودناءته. فمن حل به العمل ازداد تواضعاً ويسراً، ومن حل بالعمل ازداد به شرفاً وكبراً. والوجه السادس أن يكون سببه وجود من هو أكفأ منه، فيراعى حال الأكفأ. فان كان فضل كفايته مؤثراً في زيادة العمل به كان من لوازم السياسة، ولم يسغ فيها إقراره على عمله. وإن لم يؤثر في زيادة العمل كان عزل الناظر من طريق الأولى في تقديم الأكفأ، وتخير الأعوان. وإن جاز في السياسة إقرار الناظر على عمله لنهوضه به. وقد قيل: إذا ذهب المميز هلك المبرز. والوجه السابع أن يكون سببه أن يخطب عمله من الكفاة من يبذل زيادة فيه؛ فلا يجوز عزله يبذل الزيادة حتى يكشف عن سببها، فر بما يخرجها بها البازل لرغبة في العمل أو لعداوة في العامل. فان لم يظهر لها بعد الكشف موجب لم يحز في السياسة عزله بهذا البذل الكاذب. وكان البازل جديراً بالابعاد لابتدائه بالأفعال. فان ظهر موجب الزيادة لم يخل من ثلاثة أقسام: أحدها أن يكون لتقصير

الناظر فيجب عزله ، والوزير بعد عزله بين خيارين : إما أن يقلد الباذل ، أو يقلد غيره من الكفاءة : والقسم الثاني أن يكون موجهاً فضل كفاية الباذل ، فيجب عزله بالباذل دون غيره : والقسم الثالث أن يكون سديها عسف الباذل وخرقه ؛ فلا يجوز في السياسة عزل الناظر ولا تقريب الباذل ، وربما مال الى الزيادة من تعاصي عن العزل فعزل ، وقد فصار هو العاسف المجازف . والوجه الثامن أن يكون سديه أن الناظر مؤتمن فيخطب عمله ضامن ؛ فتضمن الأعمال خارج عن قوانين السياسة العادلة ، لأن المؤتمن عليها اذا كان كافياً استوفى ما وجب ، وكف عما لم يجب ، وهذا هو العدل . والضامن إن ضمنها بمثل ارتفاعها لم يؤثر ، وإن ضمنها بأكثر منه تحكّم في عمله وكان بين عسف أو هرب ؛ كأنه ضمن ليغتم لا ليغرم . حكى أن المأمون : عزم على تضمين السواد وعنده عبيد الله بن الحسن العنبري القاضي . فقال له : يا أمير المؤمنين : إن الله تعالى قد دفعها اليك أمانة ، فلا تخرجها من يدك قبالة .

فعدل عن الضمان

فهذا تفصيل ما تعلق بوزارة التفويض من عقد وحل وتقليد وعزل .

فصل

(وزارة التنفيذ)

وأما وزارة التنفيذ : فهي أخص ، لقصورها عما اشتملت عليه وزارة التفويض واختصاصها من عموم التفويض بأربعة قوانين :
 فالفصل الاول من قوانينها : السفارة بين الملك وأهل مملكته ، لأن الملك معظم بالحجاب ، مصون عن المباشرة بالخطاب ، فاقضى أن يختص بسفير محتشم ؛ ووزير معظم ، يطاع فيما يورده عنه من الاوامر والنواهي ، ويهاب فيما يتحملة اليه من المطالب والمباغى ؛ ليكون للملك لساناً ناطقاً ، وأذنأ واعية .

وهذه السفارة مختصة بخمسة أصناف. أحدها: السفارة بين الملك وأجناده، فيحملهم على أوامره ونواهيه ويتنجز لهم من الملك ما استوجبوه وسألوه؛ ويحتاج في سفارته معهم إلى أن يجمع بين اللين والعنف، والخشونة واللفظ، لانقيادهم إلى طاعته بالرغبة والرهبة. والثاني السفارة بين الملك وعماله، فيستوفى نظارة الاعمال ويتصحف أحوال العمال ليستدرك خلا ان كان ويستديم صلاحاً إن وجد؛ ويحتاج في هذه السفارة إلى استعمال الرهبة خاصة ليكفهم عن الخيانة ويعثهم على الامانة. والثالث السفارة بين الملك ورعيته ليتصدى بانصافهم؛ ويصغى إلى ظلاماتهم، فيمضى ما تيسر له وينهى ما تعسر عليه. ويحتاج في هذه السفارة إلى استعمال اللين واللفظ، ليصلوا إلى استيفاء الظلامة، ويستدفعوا ذل الاستضامة. والرابع السفارة في استيفاء حقوق السلطنة التي للملك وعليه من غير مباشرة قبض ولا تنقيص. ويحتاج في هذه السفارة إلى الرهبة فيما يستوفيه للملك، وإلى اللطف فيما يتنجزه من الملك. والخامس السفارة في اختيار العمال ومشاركة الاعمال، لينهى حال من يرى تقليده وعزله من غير أن يياشر تقليداً ولا عزلاً، لأن التقليد والعزل داخل في وزارة التفويض وخارج عن وزارة التنفيذ، والملك هو الذي يأمر بالتقليد والعزل ان لم يياشره. وشروط هذه السفارة: أن يكون جيد الحدس، صحيح الاختيار، قليل الاغترار، عارفاً بكفاءة العمال، ومقادير الاعمال، ليحمد اختياره ويقل عثاره.

فصل

(الرأى والمشورة)

والفصل الثانى من قوانين هذه الوزارة: أن يمد الملك برأيه ومشورته، فان الملك مع جزالة رأيه وصحة رويته محبوب الشخص عن مباشرة

الأمور . فصار محبوب الرأي عن الخبرة بها . فاحتاج الى بارز الشخص
 بالمباشرة ، ليكون يارز الرأي بالخبرة . فليس الشاهد كالعائب ؛ ولا المخبر
 كالمعين ، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم : « ليس الخبر كالمعاينة » .
 والوزير أخص بهذه المرتبة ، فكان أحق بالرأي والمشورة . وذكر في
 كتب الفرس : إن للوزير على الملك ثلاثاً : رفع الحجاب عنه ، واتهام الوشاة
 عليه ، وافشاء السر اليه . وقيل في حكمة آل داود : الفضة والذهب يثبتان
 القدم ، وأفضل منهما المشورة الصالحة . وللوزير أن يستشير فيما يشاور
 فيه الملك اذا لم يكن سراً مكتوماً . وليس لغير الوزير أن يستشير فيما يستشار
 لوقوع الفرق بينهما من وجهين . أحدهما : أن الوزير مختص من مصالح الملك
 بما يقصر عنه من عداه ، فلزمه من الاستظهار مالا يلزم من سواه . والثاني :
 ان استشارة الوزير عائدة الى مصالح الملك فعمت ، واستشارة غيره عائدة الى
 برأيه فخصت ، ويختلف أهل الشورى باختلاف الأرب المقصود . كما قال
 الحكماء : شاوروا الشجعاء في أولى العزم ، والجبناء في أولى الحزم ؛ لتخرج من
 معرفة تقصير الجبان ، وتهور الشجعان ، ويتخلص لك من الرأيين نتيجة
 الصواب . وللوزير في المشورة حالتان . أحدهما : ان يبتدئه الملك
 بالاستشارة ، فيلزمه ان يشهر برأيه فيها سواء اختصت بملكه او تعدته الى
 غيره . وقال علي بن ابي طالب كرم الله وجهه : ربما اخطأ البصير قصده ؛
 وصاب الاعمى رشده . وعلى الوزير فيها حقان . أحدهما اجتهاد رأيه في
 في ايضاح الصواب . والثاني ابانة صحته بتعليل الجواب ، ليكون محتجاً فيكفي
 توهم الزلل ويسلم من مظنة الارتباب . والحال الثانية : ان يبتدئ الوزير
 بالمشورة على الملك ، فله فيها حالتان . أحدهما ان لا يتعلق بمشورته اجتلاب
 نفع ولا استدفاع ضرر فهذا تجوز من الوزير وتبسط على الملك ان انكره
 فيحقه ، وان احتمله فيفضله . فقد قيل : كثرة النصح نهجم على سوء الظن .

والثانية ان يتعلق بمشورته اجتلاب نفع واستدفاع ضرر ، فان اخص
 بالمملكة كان من حقوق الوزارة وإن جاوزها كان من نصح الوزير . وعليه
 أن يذكر سبب ابتدائه ويوضح صواب رأيه ، وإذا استقر الاحزم على
 ما اقتضاه الرأي لزمه فيما يؤدي به من الاستشارة ويبدى به من المشورة أن
 يكتمه على كل خاص وعام لا مبرن . احدهما : ان الرأي يجب أن يظهر
 بالأفعال دون الاقوال لأن ظهوره بالفعل ضرر وظهوره بالقول خطر .
 وقد قيل : من وهن الأمر إعلانه قبل احكامه . والثاني : أنه من أسرار الملك
 الذي يجب أن تكتم في الصدور وتصان في الظهور للجمع بين تأدية الامانة وطلب
 السلامة ، فان في إفشاء أسرار الملك خطراً به وبمن أفشاها . وقد قيل : كشف
 الاسرار من شيم الاشرار . فلذلك قيل : الواقية خير من الراقية . ولقل ما تعفوا
 الملوكة عن يفتش أسرارها ، لترده بين خيانة وجناية . وأحسن أحواله فيها
 ان سلم أن يغض عنه فيدل أو يخفي فيقل . وقد قيل في بعض أسفار
 بنى اسرائيل : لسان الجاهل وقلبه واحد . وقيل في مشور الحكم : لسان
 الجاهل مفتاح حتفه . ولذلك قيل : صدور الاحرار قبور الاسرار . وقد
 يسعد بكتم أسرارهم من تعرى عن غيره من الفضائل ، وتجرد عما سواه من
 الوسائل ، لأنه قد صار خازناً لأهل الذخائر ، ومؤثماً على أنفس الودائع ؛
 إذا سلم من الادلال بها . فان تزل الاقدام عند الملوك بمثل الادلال . ولقل
 مدل سلم من ذل . ولأن تزداد انقباضاً إذا بسطه فتزداد اكراماً أولى بنى
 لحصافة من ضدها . وقد قيل : من بسطه الادلال قبضه الازلال . وقد قيل في
 مشور الحكم : إذا زادك الملك تأنيساً فزده اجلالاً .



فصل

(عناية الوزير بالملك)

والفصل الثالث من قوانين هذه الوزارة : أن يكون عيناً للملك ناظرة
وأذنأ سامعة ، ينهى ما شاهد على حقه ؛ ويخبر بما سمع على صدقه ؛ لأنه قد
سوهم بالملك وميز بالاختصاص وندب للمصالح . فلزم أن يتخصص بمصالح
الملك ؛ فيقوم مقامه في مشاهدة ما غاب وسماع ما بعد لتقدمه على من سواه ،
وعليه في ذلك ثلاثة حقوق . أحدها : أن يدبم الفحص عن أحوال المملكة
حتى يعلم ما غاب كعلمه بالحاضر ؛ ويعلم ما خفي كعلمه بالظاهر ؛ فلا يتدلس
عليه حق أمر من باطله ، ولا يشتبه عليه صدق قول من كذبه . فقد قيل :
الحق أبلج والباطل لجلج ، فان قصر فيها حتى خفيت أو استرسل فيها حتى
تدلست كان مؤاخذاً بجرم التقصير وجريرة الضرر . والثاني : أن لا يعجل
مطالعة الملك بها ولا يؤخرها - وإن جاز تأخير العمل بها لأن عليه الانتهاء ،
وليس عليه العمل . وقد قيل في حكمة آل داود عليه السلام : الذي يكتم
جهله ؛ خير من الذي يكتم حكمته . وإذا كان منه بمنزلة عينه الناظرة وأذنه
السامعة التي يتعجل العلم بها ، وجب أن يجري معه على حكمها ليستدرك
الملك ما يجب تعجيله ، ويقدم الرؤية فيما يجوز تأخيره ، فان أخر الوزير
اعلام الملك بها وقد حسم ضررها كان للنصيحة مؤدياً ؛ ومن الملك على وجل .
ومن هذا الوجه خالف وزير التفويض في قيامه بتدبيرها دون المطالعة بها ،
لأن ذلك مقصور على الانتهاء وذلك مندوب للعمل . والثالث : يوضح له
حقائق الامور ويساوى فيها بين الصغير والكبير ، ولا يميل قريباً ولا يتحيف
بعيداً ، ولا يعظم من الامور صغيراً ولا يصغر منها عظيماً ، فان من خاف

من صغار الامور أن تصير كباراً أو من كبارها أن تعود صغاراً ، أخبر بحقائقها في المبادئ مخبراً ، وفي الغايات مشيراً . فان أخبر بالغايات وأعرض عن ذكر المبادئ ، كان تدليساً لخبره بمشورته ، فلم يؤد الامانة في خبره ، وان لم يكن في مناصحته . فكان بالانكار حقيقاً والذم جديراً . وقد قيل : رب صبابة غرست من لحظة ، و حرب جنيت من لفظه .

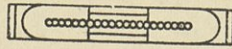
فصل

(حرصه على مصالح الملك)

والفصل الرابع من قوانين هذه الوزارة : أن يفندي راحة الملك بتعبه ، ويقي دعته بنصبه ، ولا يغيب إذا أريد ، ولا يسأم إذا أعيد ؛ لانه لسان الملك اذا نطق ، وعينه إذا رمق ، ويده إذا بطش ، فلا تبعد عن دعائه ، ولا تضجر من ندائه ، لأن عوارض الملك من هو اجس أفكاره وتقلب خاطره . وقد يتجدد مع الاوقات ما لا يعرف أسبابه ، ولا تتعين أوقاته . فليكن على رصد منها حتى لا تقف به أغراض الملك فيفضى إلى نفور أو ضجر ، وهو من كل واحد منهما على خطر . لأنه قد يؤخذ بالجريرة قبل ظهورها ؛ ويعاقب على الصغيرة مثل كبيرها ، إذا حكم بالهوى ووثب بالقدرة . ومن هذا الوجه خالف وزر التفويض الذي يجوز أن يتأخر بمباشرة الامور ؛ عن مواصلة الحضور . وهذا الوزير مقصور على الحضور دون العمل فصار هذا أكثر نقلاً ؛ وذلك أكثر عملاً . وربما مل الملازمة فأعقبته أسفاً إذا فارقها ، لأن في ملازمته للملك نصبا يقترن بعز ، وفي متاركته راحة تؤول إلى ذل ؛ وهما ماهما في التبان . فليختر لنفسه ما وافقها من عز يجتذبه بالكد ، او ذل يؤول اليه بالدعة . فانه إن صبر على اعادة الملك ظفر بارادته من الملك

وهو على الضمان ان خالفها . وقد قال أنوشروان : ما استنجحت الامور بمثل الصبر، ولا اكتسبت البغضاء بمثل الكبر . وقد قيل : من خدم السلطان خدمه الاخوان . فاطرد على هذا التعليل : ان من تنكر له السلطان خذله الاخوان . لأنه متبوع على تحكمه ، ومساعد على توهمه

فهذا ما اختص بقوانين وزارة التنفيذ بعد ما قدمناه من قوانين وزارة التفويض، ثم يختلفان في اصل التقليد من ستة اوجه . احدها ان الملك يقلد وزير التفويض في حقوقه وحقوق رعيته ، ويقلد وزير التنفيذ يمضيها بأوامر الملك وعن رأيه . والثاني أن وزارة التفويض تفتقر إلى عقد يصح به نفوذ أفعاله ؛ ووزارة التنفيذ لا تفتقر إلى عقد لانه فيها أمور بتنفيذ ما صدر عن أمر الملك . والثالث ان وزير التفويض مأخوذ بدرك ما مضاه . والرابع ان وزير التفويض لا ينزل الا بالقول او ما في معناه دون المتاركة لانه قد تملكها مباشرة الأمور : ووزير التنفيذ ينزل بالمتاركة لأنه مأمور . والخامس أن وزير التفويض لا ينزل ان كف وترك حتى يستعفي الملك منها لأنه مستودع الاعمال فلزمه ردها الى مستحقها ، ووزير التنفيذ يجوز ان ينزل بعزل نفسه بالكف والمتاركة لأنه لا شيء بيده فيؤخذ برده . والسادس ان وزارة التفويض تفتقر الى كفاية السيف والقلم لهوضه بما اوجبهما ، ووزارة التنفيذ غير مفتقرة اليهما لقصورها عنهما ، وانما يعتبر فيها ستة اوصاف وهي معتبرة في كل مدبر ذي رياسة . وهي : الأبهة ، والمنة ، والهمة ، والعفة ، والمروءة ، وجزالة الرأي . وقد كان اكثر وزراء الفرس وزراء تنفيذ ؛ واكثر وزراء الاسلام وزراء تفويض . ووزارة التفويض استسلام ، ووزارة التنفيذ استمداد



فصل

(في الحقوق)

ثم تشترك الوزارتان بعد التمييز في حقوق وعهود، فاما الحقوق فثمانية احدها: أن يكون باعفاء الوزارة ناهضاً، وفي مصالح المملكة راكضاً، يقدم حظ الملك على حظ نفسه، ويعلم ان صلاحه مقترن بصلاحه، فلن تستقيم احوال الوزير مع اختلاف حال الملك لأن الفروع تستمد اصولها ولو استقامت لكان ميلها وشيكا. وقد قيل في منشور الحكم: لا تقم بربع منتقم. والثاني: أن يكون على الكد والتعب قادرا، وفي السخط والرضا صابرا، لا ينفر اذا اوحش فان نفوره عطب - وليتوصل الى راحته بالتعب والى دعتة بالنصب؛ ولذا قيل: علة الراحة قلة الاستراحة. وقال عبد الحميد: أتعب قدمك فكم تعب قدمك. فان تشاغل براحته ومال الى لذته، سلها بالتنكر؛ وعدمها بالتغير، فضاع واضاع، وكان من امره على خطر وقد قيل في منشور الحكم: على خطر من لم يخاطر فكيف بالمغرور المخاطر. وقد قيل في بعض اسفار بني اسرائيل: الذي يحب الشهوات يبغض نفسه. والثالث: ان يكون لاحسان الملك شاكرا، ولاساءته عاذرا، يشكر على يسير الاحسان؛ ويعذر في كثير الأساءة، ليستمد بالشكر احسانه. ويستدفع بالعدر اساءته. فان عدل عنهما كان منه على ضدتهما. وقد قيل: احق الناس بالمنع الكفور، وبالصنيعة الشكور. والرابع: ان يظهر محاسنه ان خفيت ويستتر مساويه ان ظهرت، لأنه بمحاسنه معلوم موسوم، وبمساويه مقروف مرسوم، يشاركه في حمد محاسنه، ويؤآخذ بدم مساويه. وربما استرسل الملك لثقتة بالاحباب فار تكب بالهوى ما يسان عن اذاعته، وكان الوزير احق بستره عليه، لأنه الباب المسلوك اليه، مسائر غير مجاهر. فقد

قيل : النصح بين المملأ تقريع . والخامس : ان يخلص نيته في طاعته ، ويكون سره كعلانيته ؛ فان القلوب جاذبة تملك اعنة الاجساد ؛ فان اتفقا والا فالقلب اغلب ، وهو الى مراده اجذب ، كما قال الشاعر :

وما زرتكم عمدا ولكن ذا الهوى الى حيث يهوى القلب تهوى به الرجل
فاخلص قلبك ليطيعك جسديك ، واحسن سريرتك لتحسن علانيتك ؛ فان القلوب تم على الضمائر قهتكم استارها ؛ وتذيع اسرارها . وقد روى مجاهد عن النعمان بن بشير قال قال رسول الله صلى عليه وسلم : « في ابن آدم مضغة اذا صلحت صلح الجسد ، واذا فسدت فسد الجسد ، ألا وهى القلب » .
وقد قيل في بعض صحف بنى اسرائيل : قلب الانسان يغير وجهه خيرا كان او شرا . والسادس : ان لا يعارض الملك فيمن قرب فاستبطن ولا يماريه فيمن حط ورفع ، فانه يحكم بقدرته ؛ ويأنف من معارضته . فربما انقلب بسطوته اذا عورض ؛ ومال بانتقامه اذا خولف ، فبوادر الملوك تسبق نذيرها وتدحض أسيرها ، فان سلم من الخطر لم يسلم من الضجر ، ولو سلم منهما وهو نادر - فمقت المعارض مركزوز في الغرائز ، وكفى بالمقت عقي . وقال بزرجمهر : يجب للعاقل ان لا يجزع من جفاء الولاية و تقديمهم الجاهل عليه ، إذ كانت الاقسام لم توضع على قدر الاخطار ، فان حكم الدنيا ان لا تعطى احدا ما يستحقه ، لكن تزيده وتنقصه . والسابع : ان يتقاصر عن مشاكلة الملك في رتبته ، ويقبض نفسه عن مثل هيئته ؛ فلا يلبس مثل ملابسه ، ولا يركب مثل مراكبه ، ولا يستخدم مثل خدمه ؛ فان الملك يأنف ان موثل ، وينتقم إن شوكل ؛ ويرى أنها من أحواله المجتاحة ، وحشمته المستباحة ، وليعوض عنها بنظافة لباسه وجسده من غير تصنع ؛ فان النظافة من المروءة والتصنع للنساء . ليكن بالسلامة محفوظا ، وبالْحشمة ملحوظا . والثامن : ان يستوفى للملك ولا يستوفى عليه ، ويتأول للملك ولا يتأول عليه ، فان الملك اذا

أراد الانصاف كان عدل اقدر، وإن لم يرده فيد الوزير معه اقصر، وإنما أراد الوزير عوناً لنفسه، ولم يرده عوناً على نفسه، فان وجد الى مساعدته سيلاً سارع اليها، وإن خاف ضررها وانتشار الفساد بها تلتطف في كفه عنها ان قدر؛ وإن تعذر عليه تلتطف في الخلاص منها ان قدر، ولا يجهر بالمخالفة ما كان على رغبته في النظر. سئل بعض حكماء الروم: عن اصلح ما عوشر به الملوك. فقال: قلة الخلاف وتخفيف المؤنة، فلذلك لم تصحب الملوك إلا على اختيارهم، ولم يتمسكوا إلا بمن وافقهم على آرائهم. وليس لمن خالفهم حظ منهم، وإنما كان على خطر معهم، واذا روعيت أحوال الناس وجدوا لا يأتفون إلا بالموافقة فكيف بنوي القدرة من الملوك. وقد قال الشاعر:

الناس إن وافقتهم عذبوا أولاً فان جناهم مر
 كم من رياض لا أنيس بها تركت لأن طريقها وعر
 وقال بعض الحكماء: حرز الناس ثلاثة: إلفة تجمعهم، وطاعة تمنعهم،
 ومناصحة تنفعهم. فانهم إن تفرقوا تفرقت أمورهم، وإن عصوا ظهر نفورهم،
 وإن لم يناصحوا وغرت صدورهم

فصل

(تابع العهود)

فأما العهود الموقظة، فسأقول وأرجو أن يقترن بالقبول. اجعل أيها
 الوزير لله تعالى على سرك رقيباً يلاحظك من زيغ في حقه، واجعل لسلطانك
 على خلوتك رقيباً يكفك عن تقصير في أمره، ليسلم دينك في حقوق الله
 تعالى، وتسلم دينك في حقوق سلطانك، فتسعد في عاجلتك وآجلك، فان

تنافى اجتماعهما لك ، فقدم حق الله تعالى على حق الملك ، فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من أحب ديناه أضر بآخرته ، ومن أحب آخرته أضر بدنياه ؛ فأثروا ما يبقى على ما يفنى » . وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من التمس رضى الله بسخط الناس رضى الله عنه وأرضى عنه الناس » . وقال بعض الحكماء : كل امرئ يحري من عمره الى غاية تنتهى اليها مدة أجله ، وتنطوي عليها صحيفة عمله ، فخذ من نفسك لنفسك ، وقس يومك بأمسك . وكان عمر بن الخطاب رضى الله عنه ، يتمثل كثيراً بهذه الآيات :

إنما الناس ظاعن ومقيم فالذي بان للمقيم عظه
ومن الناس من يعيش سوياً ساهر الليل عامل اليقظه
فاذا كان ذا حياء ودين حاذر الموت واستحى الحفظه

حق عليك أيها الوزير : أن تكون بالرعية خبيراً . والى أحوالهم متطلعاً ؛ وبهم على نفسك وعليهم مستظهماً ، لأنهم من بين من تسوسه أو تستعين به لتعلم ما فيه من فضل و نقص ، وعلم و جهل ، وخير و شر ، وتحرز من غرور المشبه ، وتدلس المتصنع ؛ فتعطى كل واحد حقه ، ولا تقصر بذى فضل ، ولا تعتمد على ذى جهل . فقد قيل : من الجهل صحبة ذوى الجهل . ومن المحال مجادلة ذى المحال .

وافرق بين الأختيار والأشرار . فان ذا الخير يبنى ، وذا الشر يهدم . واحذر الكذوب ؛ فان ينضحك من غش نفسه ، ولن ينفحك من ضرها . وقد قيل : من ضيع أمره فقد ضيع كل أمر ، ومن جهل قدره جهل كل قدر . ولا تستكفين عاجزاً فيضيع العمل ، ولا شرهاً فيضرك باحتجانه . وقد قيل : ليعبد من البهائم من لم تكن غايته من الدنيا إلا نفسه . ولا تغنى بمن لا يحافظ على المروءة ؛ فقل ما تجد فيه خيراً لزهده فى صيانة نفسه ، وميله

الى خمول القدر . وبعيد من أسقط حق نفسه أن يقوم بحق غيره . وصعب
على من ألف اسقاط التكلف أن يحول عنه . وقد قيل في حكم الهند : ذوا المروءة
يرتفع بها وتار كها يهبط ، والارتقاء صعب والانحطاط هين ، كالحجر الثقيل
الذي رفعه عسير وحطه يسير . وقال بعض البلغاء : أحسن رعاية ذوى
الحرمات ، واقبل على أهل المروءات ، فان رعاية ذوى الحرمة ، تدل على كرم
الشيمة ، والاقبال على ذوى المروءة ، يعرب عن شرف الهمة

اختبر أحوال من استكفيته لتعلم عجزه من كفايته ؛ واحسانه من اساءته ،
فتعمل بما علمت من اقرار الكافي ، وصرف العاجز ، وحمد المحسن ؛ وذم
المسيء . وقد قيل : من استكفي الكفاة ؛ كفي العداة ، فان التبتت عليك
أمورهم . أو هنت الكافي ، وسلطت العاجز ؛ وأضعت المحسن ؛ وأغرقت
المسيء . ولأن يكون العمل غائباً فيصرف اليه فكرك ، أولى من أن يباشره
عاجز أو خائن فيقبح بهما أثرك ، فاحذر العاجز فانه مضيع ، وتوق الخائن
فانه يكدح لنفسه . وقال الشاعر :

إذا أنت حملت الخؤون أمانة فانك قد أسندتها شر مسند

اقتصر من الأعوان بحسب حاجتك اليهم ، ولا تستكثر منهم لتكثر
بهم ، فلن يخلو الاستكثار من تنافر يقع به الخلل ، أو ارتفاق يتشاكل به العمل ،
وليكن أعوانك وفق عملك ، فانه أنظم للشمل ، وأجمع للعمل ، وأبلغ
للاجتهاد ، وأبعث على النصح . أنشدت لابن الرومي :

عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب

فان الداء أكثر ما تراه يكون من الطعام أو الشراب

فدع عنك الكثير فكم كثير يعاف وكم قليل مستطاب

فما اللجج الملاح بمرويات وتلقي الرى فى النطف العذاب

هذب نفسك من الدنس ؛ تهذب جميع أتباعك . ونزه نفسك عن

الطمع ؛ تنزهه جميع خلفائك . وتوق الشرف فلن يزيدك إلا حرصاً إن أجذبت ،
و نقصاً إن أكديت ، وهما معرة ذوى الفضل ، ومضرة أولى الحزم . وقد
قيل : بحمدك لا بكفرك . وقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« اقتربت الساعة ؛ ولا يزداد الناس في الدنيا إلا حرصاً ، ولا يزداد منهم إلا
بعداً » وقال محمود الوراق :

لا يغلبنك غالب الحرص واعلم بأن الناس في نقص
ألبس أخاك على تصنعه فلبم مفتضح على النص
ما كدت أحص عن أخى ثقة إلا عدت كواعب الفحص

رض نفسك بمشاركة الأعمال ، برهبك جميع عمالك ، وتنتظم به جميع
أعمالك ؛ ولا تكل الى غيرك ما يختص بمباشرتك طلباً للدعة ، فتعزل عنه
نفسك ، وتؤثر به غيرك ، فتكون من وفائه على غدر ؛ ومن نفسك على
تقصير ، فان العطلة عقلية ، والجواد اذا وقف را كضته البراذن . وقال بزرجهر :
إن يكن الشغل مجهدة ؛ فان الفراغ مفسدة . وقال عبد الحميد : مازانك
ما أضع زمانك . ولا شانك ، ما أصلح شانك .

اجعل زمان فراغك مصروفاً الى حالتين . احدهما : راحة جسدك ،
واجمام خاطرك ، ليكونا عوناً لك على نظرك . روى ان ابنا لعمر بن العزير
دخل عليه وهو نائم . فقال : ياأبت تنام ؛ والناس على بابك قيام . فقال : يابنى
ان نفسى مطيتى وأخاف أن أحمل عليها فتقعدى . والحال الثانية : أن تفكر
بعد راحة جسدك واجمام خاطرك فيما قدمته من أفعالك ، وتصرفت فيه من
أعمالك ، هل وافقت الصواب فيها فتجعله مثلاً تحتديه ، أو نالك فيها زلل
فتستدرك منه ما أمكن وتنتهى عن مثله فى المستقبل . فقد قيل : من فكر
أبصر . وقال بعض الحكماء : من لم يكن له من نفسه واعظ ، لم تنفعه المواعظ .
ثم أصرف فكرك بعد ذلك إلى ما تستقبله من أفعالك ؛ على أى نمضيه ؛ وماذا

تفعل فيه؟ ففي تقديم الفكر على العمل، احتراز من الزلل؛ لتكون على ثقة من الصواب، فإن عارضتك الاقدار لم تلم. فقد قيل: الامور إذا انقضت، كالكوكب إذا انقضت. وقال النابغة الجعدي:

ألم تعلموا ان الملامة نفعها قليل إذا ما الشيء ولى فادبرا

اخفض جناحك لمن علا، ووطيء كنفك لمن دنا، وتجاو عن الكبير تملك من القلوب مودتها، ومن النفوس مساعدتها. فقد روى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم انه قال: « لا وحدة أو حش من العجب ». وقيل لحكيم الروم: من أضيقت الناس طريقاً وأقلهم صديقاً؟ قال: من عاشر الناس بعبوس وجهه، واستطال عليهم بنفسه. ولذلك قيل: التواضع في الشرف، أشرف من الشرف

كن شكوراً في النعمة، صبوراً في الشدة، لا تبترك السراء، ولا تدهشك الضراء، لتتكافأ أحوالك، وتعتدل خصالك، فتسلم من طيش النظر وسكرة البطر؛ فانها تنجلي عن ندم أو ضرر. فقد قال بعض الحكماء: العاقل لا يستقبل النعمة ببطر، ولا يودعها بجزع. وقيل في منشور الحكم: اشتغل بشكر النعمة عن البطر بها. وقيل في أمثال الهند: العاقل لا يبطر بمنزلة أصابها ولا شرف، كالجبل الذي لا يتزلزل وان اشتدت الرياح؛ والسخيف تبطره أدنى منزلة؛ كالحشيش الذي يحركه أدنى ريح.

استدم مودة وليك بالاحسان اليه، واستسل سخيمة عدوك بعد الاحتراز منه؛ وداهن من لم يجاهر بك بعداوته، ويقا تلك بمثله، فيطفي ثائرة عداوته، ويتواطأ لك بمجاملته. قيل لبعض الحكماء: ما الحزم؟ قال: مداواة الأعداء، ومؤاخاة الأكفاء.

ولا تعول على التهم والظنون، واطرح الشك باليقين. فقد قيل: لا يفسدك الظن على صديق قد أصاحك اليقين له. قال الشاعر:

إذا أنت لم تبرح تظن وتقتضى على الظن أردتك الظنون الكواذب
واختبر من اشتبهت حاله عليك ، لتعلم معتقده فيك ، فتدرى تصنعه
منك ، فان الالسن لا تصدق عن القلوب لما يتصنعه المداجي ؛ ويتكلفه
المداهن . كما قال عمرو بن الاهثم :

لسانك لى حلو ونفسك مرة وخيرك كالمرةاة في الجبل الوعر
وشهادات القلوب أصدق ، ودلائل النفس أوثق . وقد قيل في مشور
الحكم : للعين سر في علم ما يسر . وقال ابراهيم بن المهدي :

تظل في عينه البغضاء كامنة فالقلب يكتمها والعين تبديها
والعين تعرف في عيني محذبا من كان من حزبا أو من أعاديا
فان وقفت بك الحال على الارتباب ، اعتقدت المودة في ظاهره ؛
وأخذت بالحزم في باطنه . وإذا أقنعت الاغضاء عن الاختبار ؛ فلا تتخطه ،
فأكثر الامور تمشي مع التغافل والاغضاء . وقد قال أكرم بن صيفي : من
شدد نفر ، ومن تراخى تألف ، والشرف في التغافل . ولقلمها جوهر المغضى ،
وقوطع المتغافل ؛ مع انعطاف القلوب عليه ، وميل النفوس اليه ، وهذا من
أسباب السعادة وحسن التوفيق . روى معمر عن خلاد بن عبد الرحمن عن
أبيه قال خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم . فقال : « ألا أخبركم بأحبكم إلى الله ؛
فظننا أنه يسمى رجلا . فقال : أحبكم إلى الله أحبكم إلى الناس . ألا أخبركم
بأبغضكم إلى الله ؛ فظننا أنه يسمى رجلا . فقال : أبغضكم إلى الله أبغضكم إلى الناس . »
شاور في أمورك من تثق منه بثلاث خصال . صواب الرأي ؛
وخلوص النية ؛ وكتمان السر . فلا عار عليك أن تستشير من هو دونك ؛
إذا كان بالشورى خبيراً . فان لكل عقل ذخيرة من الرأي وحظاً من
الصواب ، فتزداد برأي غيرك وإن كان رأيك جزلاً كما يزداد البحر بمواده
من الانهار وان كان غزيراً . فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :

لا مظاهره أوثق من المشاورة . وقد يفضل المستشار على المشير ، ويظفر
 بالرأى المشير ، لأنها ضالة يظفر بها من وجدها من فاضل ومفضول . وقد
 روى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « استرشدوا العاقل
 ترشدوا ، ولا تعصوه فتندموا » . وعول على استشارة من جرب الامور
 وخبرها ؛ وتقلب فيها وباشرها ، حتى عرف مواردها ومصادرها ، فلن يخفي
 عليه خيرها وشرها ، ما لم يوهنه ضعف الهرم . كالذي حكى عن أكرم بن
 صيني وقد سأله قومه بنو نميم عن مادهمم في حرب يوم الكلاب . وقالوا :
 أشر علينا بالرأى ، فانك شيخنا وعميدنا وموضع الرأى منا . فقال : ان وهن
 الكبر قد شاع في جميع بدني ، وانما قلبي بضعة مني . وليس معي من حدة
 الذهن ما أتدي له بالرأى ؛ ولكن تقولون واسمع ؛ فاني أعرف الصواب إذا
 مر . وعول على ذوى الاسنان فان الحكمة معهم . وقد قال الشاعر :

إن الأمور اذا الاحداث دبرها دون الشيوخ ترى في بعضها خلا
 إن الشباب لهم في الأمر بادرة وللشيوخ أناة تدفع الزلا
 واعدل عن اشارة من قصد موافقتك متابعة لهواك ، واعتمد مخالفتك
 انحرافا عنك ، وعول على من توخى الحق لك وعليك . فقد قيل في قديم
 الحكم : من التمس الرخص من الاخوان في الرأى ، ومن الأطباء في المرض ،
 ومن الفقهاء في الشبهة ، أخطأ الرأى وزاد في المرض واحتمل الوزر .
 ولا تؤاخذ من استشرت بدرك الرأى إن زل ؛ فما عليه إلا الاجتهاد وان
 حجزته الأقدار عن الظفر . وقد قيل في منشور الحكم : من كثر صوابه لم يطرح
 لقليل الخطأ

اختر لا سرارك من تثق بدينه وكتمانه ، وتسلم من إذاعته وادلاله . لو
 قدرت على أن لا تودع سر ك غيرك كان أولى بك وأسلم لك ، لأنك فيها
 بين خطر أو حذر . وقد روى عطاء عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه

عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « استعينوا على قضاء الحوائج بكتماها فان كل ذى نعمة محسود » . وقد قيل في منشور الحكم : انفرد بسرك ولا تودعه حازماً فيزل ، ولا جاهلاً فيخون . والعرب تقول : من ارتاد لسره فقد أذاعه

ثبت فيما لا يقدر على استدراكه ، فقلما تعقب العجلة إلا ندماً . روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « من تأنى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد » . وقيل في حكم آل داود . من كان ذا تودة وصف بالحكمة . وقيل في منشور الحكم : أناة في عواقبها درك ؛ خير من عجلة في عواقبها فوت وقدّم ما قدرت عليه من المعروف ؛ فقلما يعقب الذنب إلا ندماً ، فان للقدرة غاية ولنفوذ الأمر نهاية ، فاعتمدها في مكنتك تسعد بما قدمته ، ويسعد بك من أعنته . فقد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : « لكل ساع غاية وغاية كل ساع الموت » . وقد قال علي بن أبي طالب رضى الله عنه : اتهموا هذه الفرص فانها تمر مر السحاب . وقال بعض الحكماء : من أحر الفرصة عن وقتها ، فليكن على ثقة من فوتها . ولذلك قيل : خير الخير أوحاه وقال الشاعر :

وعاجز الرأي مضياح لفرصته حتى اذا فات أمر عاتب القدر

وقيل في حكم الفرس : لا خير في القول إلا مع الفعل ، كما لا خير في المنظر إلا مع المخبر . وقيل في أمثال الهند : لا يتم حسن القول إلا بحسن العمل ، كالمرضى الذي لا يبرأ بمعرفة الدواء حتى يتداوى

احذر قبول المدح من المتملقين ؛ فان النفاق مركز في طباعهم ؛ ويداجونك بهين عليهم ، فان نفقوا عليك غششت نفسك ؛ وداهنت حسك ، وصحفيك ما قيل في منشور الحكم : سوق النفاق دائماً النفاق . وقال عبد الملك بن مروان لروح بن زنباع : لا تغتابن عندي أحداً ، فاني لا أأتمنك على غيبي ، ولا تفش

لى سراً ، فانتى لا أثق بك فى مجلسى ، ولا تطرينى فى وجهى ، فانتى إن قبلته
منك غبنت عقلى ، وإن رددته عليك أسأت عشرينى ، وأنت أعرف بنفسك
من غيرك فيما تستحق به حمداً أو ذمماً ، ففاتح نفسك بما فيها ، فانك أعلم بمحاسنها
ومساويها . وقد قيل فيما أنزل الله تعالى من الكتب السالفة : عجبت لمن قيل فيه
الخير وليس فيه كيف يفرح ، وعجبت لمن قيل فيه الشر وهو فيه كيف يغضب .
وقال بعض الحكماء : من مدحك بما ليس فيك ، فحقيق أن يدمك بما ليس فيك .
وقال بعض البلغاء : من أظهر شكرك فيما لم تأت إليه ، فاحذره أن يكفر نعمتك
فيما أسديت إليه ، ففوض مدحك الى أفعالك فانها تمدحك بصدق إن أحسنت ،
وتدمك بحق إن أسأت ، ولا تغتر بمخادعة اللسان الكذوب . فقد قيل : أبصر
الناس من أحاط بذنوبه ، ووقف على عيوبه . وقد قيل فى بعض الصحف الأولى :
ثمارة الحكماء لا أنفسهم . كتب حكيم الروم الى الاسكندر : لا ترغب فى الكرامة
التي تنالها من الناس كرهاً ؛ ولكن فى التي تستحقها بحسن الأثر وصواب التدبير
اعتمد بنظر كاحماد سلطانك ، وشكر رعيتك ، تكن أيامك سعيدة ؛
وأفعالك محمودة ؛ والناس بك مسرورين ، ولك أعواناً مساعدين ، ويبقى
بعدك فى الدنيا جميل ذكرك ، وفى الآخرة جزيل أجرك ؛ واستعد بالله من
ضدها ؛ فيعدل بك الى صدها . فان الولايات كالمحك تظهر جواهر أربابها .
فمنهم نازل مرذول ، وصاعد مقبول . روى عن أنس بن مالك عن النبي صلى
الله عليه وسلم أنه قال : « أحسنوا جوار نعم الله تعالى ؛ فقل ما زالت عن
قوم فعادت اليهم » . وكذلك قيل : ربهما شارب الماء قبل ربه . وتعرض
رجل ليحيى بن خالد بن بردك وهو على الجسر بكتاب وسأله أن يختمه . فقال :
يا غلام أختم كتابه مادام الطين رطباً . ثم أنشد :

إذا هبت رياحك فاغتمها فان لكل خائفة سكون
ولا تغفل عن الاحسان فيها فما تدرى السكون متى يكون

اذا نلت من سلطانك خطأ ؛ وأوجبت عليه من خدمتك حقاً ، فلا تستوفه . ودع لنفسك بقية يذخرها لك فيراها حقاً من حقوقك ؛ ليكون كفيل اداءها اليك ، فان استوفيتها صرت الى غاية ليس بعدها الا النقصان . وقد قال الشاعر :

اذا ثم أمر بدا نقصه توقع زوالا اذا قيل ثم

واعلم انك مرصد لحوائج الناس لان بيدك أزمة الامور ، واليك غاية الطاب ؛ فكن عليها صبوراً تكن بقضائها شكوراً ، ولا يضجرك طالبها وقد أملك ، ولا تنفر عليه ان راجعك ، فما يجد الناس من سؤال بدا . ولخير دهرك أن ترى مرجوا ، وأنشدت لأبي بكر بن دريد رحمه الله تعالى :

لا تدخلنك ضجرة من سائل فلخير دهرك ان ترى مسؤلاً
لا تجهن بالرد وجه مؤمل فبقاء عزك ان ترى مأمولاً
واعلم بأنك عن قليل صائر خيرا فكن خيرا بروى جميلاً

وقيل في الصحف الأولى: القلب الضيق لا تحسن به الرياسة ؛ والرجل اللئيم لا يحسن به الغنى ؛ ولئن كانت الحوائج كالمغارم لمن استثقلها ، فهي مغامر لمن وفق لها ، وليس بغرم ما عاد بغم ، ولا بضائع ما اصطنع في معروف . وقد روى عمر بن الخطاب رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « ما عظمت نعمة الله على عبد الا عظمت مؤنة الناس عليه فمن لم يحتمل مؤنة الناس عرض تلك النعمة للزوال » . واذا جعلت الوزارة غايات الأمور اليك منتهية ؛ وحوائج الناس عليك واقعة ، والقدرة لك مساعدة لا نبساط يدك ، ونفوذ امرك ، صرت بالتوقف والاعراض مخلاً بحقوق نظرك ، واسعا على فوت فطنتك . وقد قال بهرام جور في عهده الى ملوك فارس : انكم بمكان لا مصرف للناس عن حوائجهم اليكم ، فلتتسع صدوركم كاتساع سلطانكم . فان ذخرك باصطناعه ابقى ، ودفعتك به عن نعمتك أوقى

وقد قال علي بن الجهم :

إذا جدد الله لي نعمة شكرت ولم يرني جاحدا
ولم يزل الله بالعائدا ت على من يجود بها عائدا
أبا جامع المال وفرته لغيرك اذ لم تكن خالدا
فان قلت اجمعه للبني ين فقد أفقر الولد الوالد
وان قلت اخشى صروف الزمان ن فكن من تصاريفه واجدا

فاجعل يومك أسعد من أمسك ، وصلاح الناس عندك بصلاح نفسك ،
ومل الى اجتذاب القلوب بالاستعطاف ، والى استمالة النفوس بالانصاف
تجدهم كنوزاً في شدائدك ، وحرزاً في نوائبك . وقال بعض الحكماء : من
زرع خيراً حصد أجراً ، ومن اصطنع حراً استفاد شكراً . وقيل في منشور
الحكم : خير زاد القدرة اعتقاد المن . قال الشاعر :

حصادك يوماً ما زرعت وانما يدان امرؤ يوماً بما هو دائن
احذر دعوة المظلوم وتوقها ، ورق لها إن واجهك بها ، ولا تبغضك
العزة على البطش فتزداد ببطشك ظلماً وبعزتك بغياً ، وحسبك بمنصوره
عليك . وروى جعفر بن محمد عن ابيه عن جده رضى الله تعالى عنهم عن
النبي صلى الله عليه وسلم انه قال : « اتقوا دعوة المظلوم فانما يسأل الله حقه
وإن الله لا يمنع ذا حق حقه » .

كن للشهوات عزوفاً تنفك من اسرها ، فان من قهرته الشهوة كان عبداً
لها ، ومن استعبدهته الشهوة ذل بها . روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه
قال : « من اشتاق الى الجنة سارع في الخيرات ؛ ومن اشفق من النار لهي عن
الشهوات » . وقيل لبعض حكماء الروم : ما الملك الاعظم . قال : ان يغلب
الانسان شهوته . وقيل له : ما الفرق بينك وبين الملك . قال : الملك عبد
الشهوات ، وانا مولاهما ،

فكن بالزمان خيرا تسلم من عشرته؛ فان الاغترار به مرد، وقدم لمعادك
 ليبقى عليك مادخرته؛ فلن تجد الا ما قدمت، وانك لتجازي بما صنعت،
 واستقل الدنيا تجد في نفسك عزا فترضى اذا سخطت، وتسرا اذا حزنت،
 ولن يذل إلا طلبها، ولن يحزن إلا صاحبها. وقد روي عن النبي صلى الله
 عليه وسلم انه قال: «انا زعيم لمن اكب على الدنيا بفقر لاغنى فيه، وشغل
 لا انقطاع له». وقد قال علي بن ابي طالب رضى الله عنه: احذروا الدنيا فانها
 غدارة مكاره ختارة خسارة تستنكح في كل يوم بعلا، وتستقبل في كل ليلة
 اهلا، وتفرق في كل يوم شملا. وقال بعض الحكماء: ليكن طلبك للدنيا اضطرارا،
 وفكرك فيها اعتبارا، وسعيك لمعادك ابتدارا. وقال عبد الحميد: طالب
 الدنيا عليل، ليس يروى له غليل. وقال الشاعر:

فلا جزع ان راب دهر بصرفه وبدل حالا والخطوب كذلك
 فما العيش الامدة سوف تنقضى وما المال الا هالك وابن هالك

اجعل صلاح عملك ذخرا لك عند ربك، وجميل سيرتك اثرا مشكورا
 في الناس بعدك لتقتدي بك الاخيار، ويزدجربك الاشرار، تكن بالثواب
 حقيقا؛ وبالحمد جديرا. فقد قيل: الاغترار بالاعمار، من شيم الاغمار، فلن يبق
 بعدك الا ذكرك في الدنيا، وثوابك في الآخرة، فاطفر بهما، واعتنم ببقية
 عمرك لهما، تكن سعيدا فيهما، فان الدنيا كاحلام نائم يستحليها في غفوته
 ويلفظها بعد يقظته. وقد قيل في الصحف الاولى: احرص على الاسم الصالح
 فانه لا يصحبك غيره. وقال الجاحظ: وليت خزانة كتب الرشيد وتصفحت
 كتبه فلم اجد كلمة الا وجدت لها نقيضة، إلا كلمات جاءت عن فيلسوف العرب
 علي بن ابي طالب رضى الله تعالى عنه: قيمة كل امرئ ما يحسن، ومن جهل
 شيئا عاداه، ولن يهلك امرؤ عرف قدره، وكلما يتصور في الاوهام فالله
 بخلافه، وبقية عمر الرجل لا ثمن لها ولا قيمة، لأنه يدرك بها ما فاتته، ويطي
 فيها ما اماته

فاغتم ايها الوزر ببقية ايامك ، باجمل افعالك ؛ واستدرك فيها ماتقدم
 من سوء آثارك ، وكفر بها ما اسلفت من فجورك واغترارك ؛ نفواتيم
 الامور تعني ما سبق حتى تناساه النفوس ؛ وتتغاضى عنه العيون ، لأنها
 توكل بالأدنى وان جل ما يمضى ، واذا مدتك الاقدار بالتوفيق ، وغالبك
 العقل بالتلافي ، عدلت واعتدلت . ففزت في آخرتك ، وسعدت في آجلك .
 وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « ما استودع الله احدا عقلا إلا
 استنقذه به يوما . فاذا عقلك عقلك عن الباطل فانت عاقل » .

وسأختم تحذيرك وانذارك ؛ وأتبع تبصيرك وافكارك ، بما انذر
 به الرسول صلى الله عليه وسلم فهو او عظم نذير ؛ وابلغ توفيق وتحذير .
 روى عبدالله بن عبيد عن عمير الليثي عن حذيفة بن اليمان قال قال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم . « ان من أشراط الساعة اذا رأيتم الناس اماتوا الصلاة
 واضاعوا الامانة ؛ واحلوا الربا ؛ واستخفوا بالدماء ؛ وباعوا الدين بالدنيا
 وشربت الخمر ؛ وعطلت الحدود ؛ واتخذوا القرآن مزامير ، واتخذت
 الأمانة مغنما ؛ والزكاة مغرما ، وكان الحلم ضعفا ، والولد غيظا ، وغاض
 الكرام غيضا ، وفاض اللئام فيضا ؛ وكان الأمراء فجرة ، والوزراء كذبة
 والأمناء خونة ، والقراء فسقة ؛ وكان زعيم القوم ارضهم ، وتشبه الرجال
 بالنساء ، والنساء بالرجال ، وكذب الصادق ؛ وصدق الكاذب ، ولعن آخر
 هذه الأمة اولها . فليتوقعوا نزول البلاء بهم

وقد أوجزت لك أيها الوزر ما ان كان عملك به محيطا ذكرك ، وإن
 كنت غافلا عنه أنذرك ، وان يمدك بتوفيقه ، ويعينك على طاعته بجوده آمين .
 تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توفيقه ولا حول ولا قوة الا بالله
 العلي العظيم

بشارع عبدالعزيز
بمصر

مطبوعات محمد بن عبد الله

نشرتها حديثاً
مكتبة الخانجي

وتطلب منها ومن سائر المكاتب الشهيرة بمصر والجهات

الرسائل النادرة

(الرسالة الاولى)

اعلام الكلام

لأبي عبيد الله محمد بن شرف القيرواني، المتوفى سنة ٦٤٠ هـ. تناول فيه مشاهير قدماء الشعراء وسقطاتهم، التي دقت عن أفهام الكثيرين. وعدد صفحاتها ٥٦ وثمنها قرشان صاعاً

(الرسالة الثانية)

قراضة الذهب

للحسن بن رشيق القيرواني، صاحب كتاب العمدة في الشعر ونقده، وهي تجرى مع سابقتها في سلك واحد. ويعد ابن شرف وابن رشيق؛ أول من كتب في النقد. والرسالة في ٦٠ صحيفة وثمنها قرشان صاعاً

تذكرة ابن حمدون

(الرسالة الثالثة)

السياسة والآداب الملوكية

لكافي الكفاة أبو المعالي بهاء الدين محمد بن أبي سعد الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي الكاتب، المولود ببغداد سنة ٤٩٥ هـ. والمتوفى محبوساً في أوائل سنة ٥٦٢ هـ ببغداد.

وعدد صفحاتها ١٣٦ على ورق ناعم وطبع جميل. وثمنها خمسة قروش صاع

(الرسالة الرابعة)

١- فضائص المسند

مسند الامام أحمد — للحافظ أبي موسى المدني. المتوفى سنة ٥٨١ هـ.

في ختم مسند

٢- المصدر الاحمد

الامام أحمد

للحافظ شمس الدين أبي الخير محمد بن محمد بن محمد بن الجزري. المولود

بدمشق سنة ٧٥١ هـ. والمتوفى بشيراز سنة ٨٣٣ هـ. وثمنهما قرشان

الإعظام في أصول الإعظام

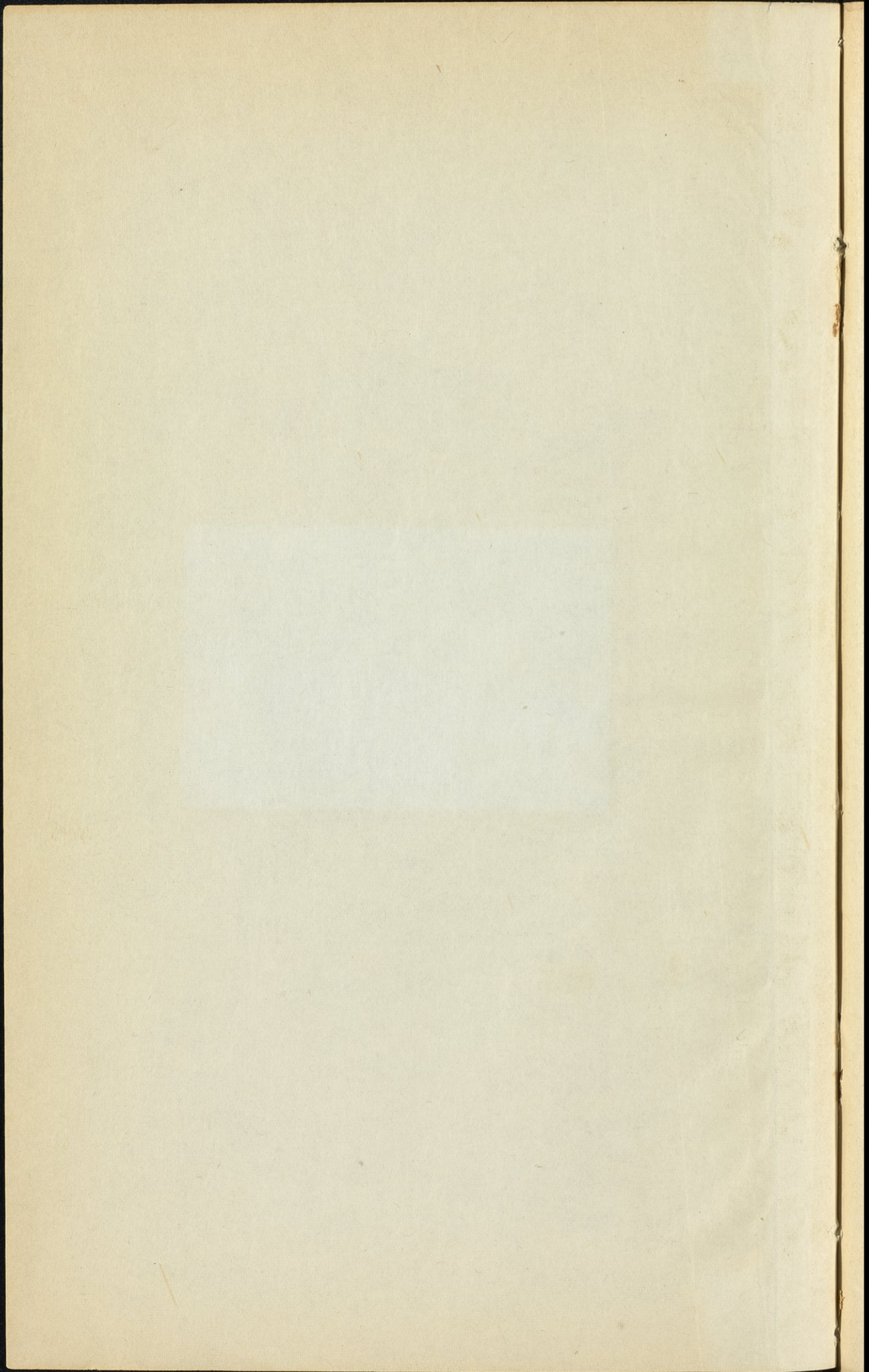
للحافظ أبي محمد علي بن حزم الأندلسي الظاهري

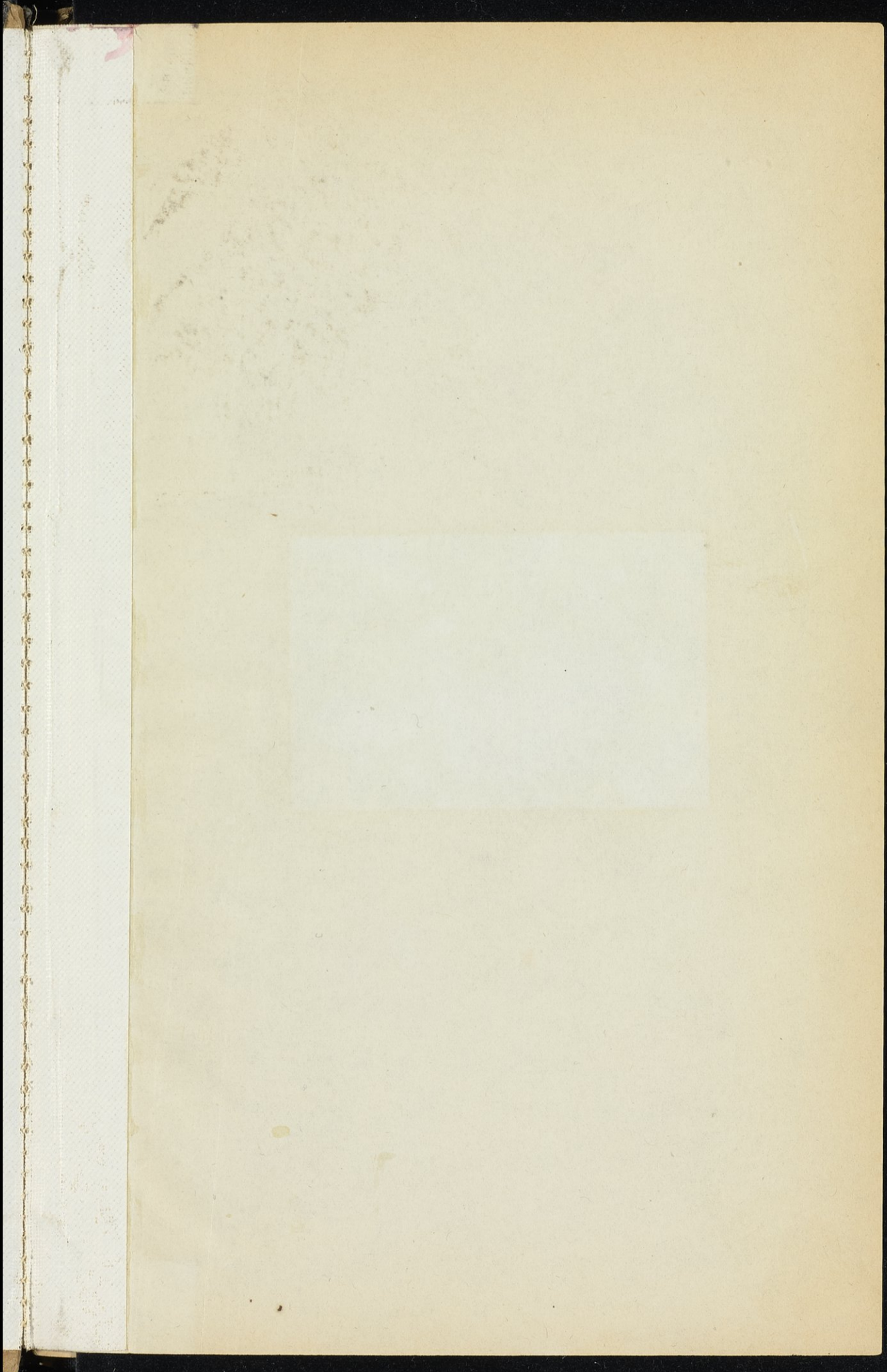
وهو غرة مؤلفات الامام الكبير ابن حزم صاحب الملل والنحل ، وأوفى كتاب في الأصول الاسلامية ، وعمدة أرباب القضاء في جميع العصور ، أسسه على بيان متين ، من القرآن الشريف والسنة النبوية ، وأتى فيه بالحجج القاطعة ، والأدلة الناصعة ، وقد عينا بنشره ، ومقابلة أصوله على جملة نسخ خطية قديمة ، بغاية الدقة ؛ وقد تفضل حضرة الأستاذ الشيخ أحمد شاكر القاضي الشرعي ، بمراجعة تصحيح الطبع والتعليق عليه ؛ وطبعناه على ورق عال جميل ، في ثمانية أجزاء حسب ترتيب المؤلف ، وقد نجز منه خمسة أجزاء وسيتم الباقي قريباً بعون الله . وقيمة الاشتراك في الكتاب جميعه ٤٠ قرشاً الى نهاية الكتاب ، ثم يكون بستين قرشاً .

صبر الخاطر

للحافظ أبي الفرج عبد الرحمن بن الجوزي

من أنفس المؤلفات التي طبعت حديثاً ، في الآداب الاجتماعية ، والأخلاق الفاضلة ، جمع فيه مؤلفه رحمه الله ما تفرق في كثير من الكتب ، بأسلوب سهل مفيد ، وعبارة وجيزة ، فجاء وافيًا بالمرام . وقد طبع على ورق صقيل وتصحيح متقن ، وعدد صفحاته ٤٥٦ و ثمنه ١٥ قرشاً .
وغير ذلك من المؤلفات العلمية والأدبية بأسعار متهاودة .
والمكتبة تشتري لحسابها الكتب المستعملة . وبها قسم خاص لمبيع ومشتري الكتب الخطية الأثرية ، ومصاحف القرآن الشريف .





LIBRARY
OF
PRINCETON UNIVERSITY

(NEC)
BJ1608
.174
M393
1929

1